العداء بين النورمان والبيزنطيين وأثره على موقف الأميرين النورمانيين بوهيمند وتانكريد من إمبراطور القسطنطينية أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى عام١٠٩٧ م

د/ أميرة مصطفى أمين يوسف

أستاذ مشارك بقسم التاريخ

جامعة الملك عبد العزيز

فرع كليات البنات

العداء بين النورمان والبيزنطيين وأثره على موقف الأميرين النورمانيين بوهيمند وتانكريد من إمبراطور القسطنطينية أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى عام١٠٩٧ م

تكونت الدولة النورمانية في صقلية وجنوب إيطاليا، وأخذ النورمان يتوسعون على حساب البيزنطيين والمسلمين على السواء من جهة الغرب، وكان هدفهم أن يجعلوا من البحر الإدرياتي بحراً لهم و لأساطيلهم وجيوشهم في جنوب إيطاليا والبلقان، ولذا اتسمت العلاقات النورمانية البيزنطية بالعداء المستحكم، خاصة لتقدم أولئك النورمان في الأراضي البيزنطية ومحاولة الإستيلاء على القسطنطنية ذاتها، وعلى الرغم من وأد تلك المحاولة من قبل الدولة البيزنطية إلا أن العداء ظل مستحكماً بين الطرفين، وعند اشتراك القادة النورمان في الحملة الصليبية الأولى، أطل الخطر برأسه من جديد على الدولة البيزنطية، وإمبرطورها الكسيوس كومنين في شخص بوهيمند النورماني ، الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى مع ابن أخته تانكريد، وعلى الرغم من اجتماع كل من بوهيمند وتانكريد على كراهية الإمبراطور الكسيوس كومنين ، لموقفه من النورمان قبيل الحملة الصليبية الأولى ،وعلى الرغم من أهدافهما الموحدة للإشتراك فيها ،إلا أنهما اختلفا وتباينا في طريقة التعامل مع الإمبراطور البيزنطي بعد وصولهما للقسطنطنية ومقابلته فيها ،ولذا فإن هذه الدراسة تستعرض العلاقات النورمانية البيزنطية قبيل الحملة الصليبية الأولى، ثم مقارنة موقف كل من القائدين النورمانين مع إمبراطوربيزنطة أثناء لقائهما به، و نتائج ذلك وأثره على العلاقات المستقبلية بين بيزنطة والنورمان. ومن هنا جاءت أهمية الدراسة.

بوهيمند Bohemond النورماني هو ابن زعيم النورمان روبرت جويسكارد[١] Robert Guiscard، وإسمه الأصلي مرقص Murcus أما بوهيمند فهو إسم الشهرة، وقد كان جويسكارد شديد الإعجاب بإبنه مرقص منذ ولادته، لماكان يتمتع به من قوة جسمانية، ولذا اختار له لقب "بيموند" نسبة إلى عملاق أسطوري اسمه "بويمند

جيجاس"، كان يسيطر على إعجاب جويسكارد ،وطغى ذلك اللقب على الإسم الحقيقي لبوهيمند وأصبح معروفاً به طوال حياته[٢].

كان بوهيمند طويل القامة، قوي الشخصية جذاباً له ابتسامة مخادعة ،وكان سياسياً ودبلوماسياً يقنع سامعيه بأقواله،له رأي سديد ويوصف بأنه كان بعيد النظر[٣]،وقد أجاد بوهيمند اللغة اللاتينية تحدثاً وكتابة، إلى جانب اللغة اليونانية، وقد أشار البعض إلى معرفته باللغة العربية ،ولكن من الصعب التأكد من مقدرته على النطق بها،وقد أصبح بوهيمند خير نموذج لما اتسم به النورمان من همة عالية، وكان الساعد الأيمن لوالده جويسكارد أثناء الصراع بينه وبين الدولة البيزنطية[٤].

أما تانكريد Tancred فهو نبت عظيم من أصل شهير، فأبوه هو الماركيز Odo Bonus أودو بونزMarchisusوأمه هي إيماEmmam ابنة روبرت جويسكارد، وخاله هو بوهيمند النورماني[٥].

اشتهر تانكريد بالرزانة والوقار،وكان شجاعاً فاق أقرانه في سرعة استخدامه للسلاح ،كما أنه كان مطيعاً لوصايا الرب، يدرسها بإمعان ويردد ماسمعه ويستوعب جيداً أقوال معلميه ويحرص على أن لايفوته شيء، ولم يكن يحب استثارة الخصوم، بل كان كثيراً مايردد " يجب تحمل الغريم لا سحقه" ،كان يؤثر السهر على النوم، والكد على الراحة، والجوع على التخمة، والنشاط على الفراغ، والضروريات على الفائض،وكان الرقي إلى المجد هو مايشغل ذهن ذلك الفتى، بل كان يسعى إلى المجد في كل يوم من أيامه[٦] .

وقبل البحث والمقارنة في سياسة كل من بوهيمند وتانكريد تجاه الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين في القسطنطنية أثناء الحملة الصليبية الأولى، لابد من إلقاء الضوءعلى النورمان الذين كان ينتمي لهم كل من بوهيمند وتانكريد، وعلاقتهم بالدولة البيزنطية قبيل الحملة الصليبية الأولى لما في ذلك من أهمية في موضوع البحث .

كانت الدوقية الكبرى للنورمان هي مدينة نورماندیا Normandy بفرنسا ،ثم خرج النورمان منها و استقروا في إيطاليا، وقد اختلفت آراء المؤرخين في أسباب ذلك الإستقرار فبعضهم أشار إلى إنطلاق بعض الأفراد منهم سنة ١٠١٦م/٤٠٧هـ حجاجاً لبيت المقدس ،وعند رجوعهم من الحج عرجوا على الشاطئ الشرقي لإيطاليا، واستنجد بهم بعض الثوار ضد القوات البيزنطية هناك، فقاموا بمعاونتهم وانتصروا على تلك القوات، مما أكسبهم شهرة كبيرة في إيطاليا كجند محاربين، وذكر البعض أن أولئك الحجاج بعد عودتهم من بيت المقدس وهم في طريقهم إلى ديارهم وجدوا جنداً من المحاربين المسلمين يحاصرون سالرنو Salerno، فقام النورمان بمساعدة أهل المدينة اللذين ناشدوهم بالبقاء إلى جانبهم، ولكنهم فضلوا الرحيل إلى بلادهم لجذب بعض النورمان الآخرين للإستقرار في إيطاليا[٧]، أما الرأي الأخير فيرجع استقرار النورمان في إيطاليا سنة١٠١٧م/٤٠٨هـ إلى اتساع طموحهم مما جعلهم يفتحون أعينهم ويتطلعون نحو الشرق وما فيه من ثروات" بلاد الحليب والعسل وتواجد معظم الأشياء فيه"[٨]، فرأوا في جنوب إيطاليا مفتاحاً لإقامة إمبراطورية لهم في مناطق البحر المتوسط النائية والغريبة[٩]، والتي كان يسكنها المسلمون الذين كان يخشاهم الغرب إلى جانب البيزنطيين الخطاة على حد قول كانتور[١٠] ،ونظرا لأن بعض الممتلكات الإيطالية الجنوبية كانت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية، لذا بدأ الإحتكاك بين الطرفين.

استطاع النورمان وبعددهم القليل، ومهاراتهم أن يقوموا بمجهود فردي في خدمة الأحزاب المختلفة في إيطاليا، وانتقل النورمان من خدمة أمير الى آخر من الأمراء اللومبارديين[١١] ، وحرصوا على عدم تغلب اولئك الأمراء على بعضهم ،حتى لا يتم الإستغناء عنهم، وسرعان ما استقر هؤلاء النورمان وأسسوا امارة لأنفسهم ،وهي أول إمارة نورمانية تأسست في إيطاليا سنة١٠٣٠م/٤٢٢هـ وتحديداً في إفرسا Aversa شمال نابولي Naples[١٢]

ترأس النورمان قائداً لهم يدعى رانولفRainulf ،وقد أرسل ذلك القائد إلى عشيرته في نورمانديا يستحثهم للقدوم عليه[١٣] ،وكان أبرز من لبى النداء أسرة نورمانية كانت تسكن منطقة تدعى هوتفيل Hauteville ورب هذه الأسرة كان يدعى تانكريد Tancredله اثنى عشر من الأبناء [١٤]،إلا أنه لم يقدم معه إلى إيطاليا سنة١٠٣٦م/٤٢٨هـ سوى ثلاثة هم وليم William،وهمفريHumfrey ،ودورجو[١٥]Dorgo .

اشتغلت هذه الأسرة كجند مرتزقة ،وساعدوا البيزنطيين في حروبهم ضد المسلمين في صقلية سنة ١٠٣٨م/٤٣٠هـ[١٦] ، ثم بدأوا في توطين أنفسهم في الأراضي والقلاع البيزنطية، ولم تأت سنة١٠٤٢م/٤٣٤هـ حتى تمكن وليم بن تانكريد هوتفيل و الملقب بصاحب الذراع الحديدية[١٧] ومعه ستة من إخوته من الإستيلاء على عددكبير من المناطق البيزنطية في إيطاليا، وأهمها مدينة ميلفي Melfi المفتاح الرئيسي إلى أبوليا Apulia[١٨].

توفى وليم هوتفيل سنة ١٠٤٦م/٤٣٨هـ، واعترف الإمبراطور هنري الثالث Henery III(١٠٣٩-١٠٥٦م/٤٣١-٤٤٨هـ) بدورجو شقيق وليم أميراً على أبوليا[١٩]، وقد تمكن دورجو من استكمال مسيرة النورمان التوسعية مع أخيه همفري ، وأخيه الرابع روبرت جويسكارد Robert Guiscard الملقب بالعرس(The Weasel)، الذي وصل إلى إيطاليا سنة ١٠٤٦م وانضم إلى أخوته[٢٠] أثناء زحفهم من جنوب إيطاليا إلى روما، وبدأوا في تهديد الممتلكات البابوية من كنائس وأديرة، وصاحب ذلك الكثير من أعمال السلب والنهب على الأهالي، الأمر الذي أثار البابا ليو التاسع[٢١]، فتحالف مع شخص بيزنطي يدعى أرجيوسArgyuos لمواجهة النورمان في معركة فاصلة عند كيفيتاتي Civitate أنتهت بانتصار النورمان ووقوع البابا أسيراً في أيديهم سنة١٠٥٣م [٢٢] ولم يطلق سراحه إلا بعد أن تخلى عن سياسته نحوهم، وعندها أدركت البابوية أن النورمان قوة لايمكن طردها من إيطاليا، خاصة بعد أن أصبح الأمير روبرت جويسكارد زعيماً للنورمان في إيطاليا(١٠٥٧-١٠٨٥م) بعد وفاة أخيه همفري[٢٣].

ويعتبرروبرت جويسكارد والد بوهيمند ،وجد تانكريد لأمه، هو المؤسس الحقيقي للجماعة النورمانية في جنوب إيطاليا وصقلية، قيل عنه أنه صانع للسلام ،حافظاً لدولة النورمان من السقوط والخراب[٢٤] وقال عنه البعض أنه ابن نورماندي ولكنه نشأ وترعرع بيد الأثام[٢٥] ولذا سنستعرض نبذه عن حياته وعن علاقته مع الدولة البيزنطية، لما لذلك من تأثير على بوهيمند وتانكريد عندما ألتقيا بالإمبراطور الكسيوس في القسطنطنية أثناء الحملة الصليبية الأولى .

اشتهر روبرت جويسكارد بالدهاء والشجاعة، ومن صفاته أنه كان لا يعرف الرحمة أو الوفاء بالعهد[٢٦] ، كما اشتهر بالمكر وسعة الحيلة، التي أعطته اسم جويسكارد ومعناهThe Cunning (الحذر اليقظ) [٢٧]، مما مكنه من المضي قدماً في إتمام فتحه لتلك المناطق، وتوج ذلك بالإستيلاء على كالابريا مع شقيقه الأصغر روجرRoger الذي قدم معه وتمكنا من إحراز العديد من الإنتصارات[٢٨]

أراد الأمير جويسكارد أن يضفي صبغة شرعية على أعماله، لذلك تطلع إلى البابوية في عهد البابا نيقولا الثانيNicholasII(١٠٥٧- ١٠٦١م/٤٤٩- ٤٥٣هـ)، وتم عقد معاهدة بين الطرفين في مدينة ميلفي سنة١٠٥٩م/٤٥١هـ، منح فيها البابا الأمير روبرت جويسكارد لقب دوق أبوليا وكلابريا ،ثم سيداً على صقلية[٢٩]، وهو اعتراف من البابوية بالوجود النورماني في إيطاليا، وفي المقابل اعترف الأمير روبرت بالتبعية للبابا مع دفع مبلغ معين من المال سنوياً [٣٠] ،وهكذا تمكن روبرت من منح نفسه غطاءً روحياً قوياً، مكنه من ابتلاع ماتبقى لبيزنطة من ممتلكات في أبوليا وكالابريا وصقلية سنة١٠٥٩م[٣١]، كذلك فقد خضعت لأولئك النورمان الجمهوريات البحرية في في تلك المنطقة[٣٢].

وفي سنة ١٠٦٠م/٤٥٢هـ تمكن جويسكارد من الإستيلاء على Reggioوبرنديزي Brindisiوتارنتو Taranto ،و لم يبق لبيزنطة في إيطاليا سوى حاضرتها باريBari، وهي الحصن المنيع الذي كان يقع على الساحل [٣٣].

شرع الأمير روبرت جويسكارد في حصار باري سنة١٠٦٨م/٤٦١هـ ،مستغلاً انشغال الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينس [٣٤] Roman Diogenes (١٠٦٨-١٠٧١م/٤٦١-٤٦٤هـ) عن جنوب إيطاليا بالقتال مع السلاجقة[٣٥]، و نظراً لأن الإمبراطور رومانوس لن يتمكن من صد العدوان النورماني حربياً ،لذا حاول درء خطرهم سلمياً، وتبنى سياسة هدفها كسب صداقة الزعيم النورماني[٣٦] ،فاقترح أن يزوج أحد أبنائه من ابنة روبرت جويسكارد، إلا أن ذلك العرض لم يلق إلا الرفض من جانب جويسكارد[٣٧] ،الذي شدد الحصار على أهل باري حتى قلت الأقوات، وتعرض السكان لخطر المجاعة ،فاستسلموا واعترفوا بجويسكارد دوقاً عليهم، وأقسموا له يمين الولاء ،وذلك في سنة١٠٧١م/٤٦٤هـ بعد حصار دام ثلاث سنوات[٣٨]، وقد اشترط جويسكارد شروطاً اتسمت بالتسامح، وذلك حرصاً منه في أن ينال مساعدة أهل باري في حربه ضد المسلمين في صقلية[٣٩].

أزال سقوط باري ما كان لبيزنطة من نفوذ وسلطان في الجنوب الإيطالي، بإعتبار أنه آخر المعاقل البيزنطية من جهة الغرب ، بعد حكم دام ثلاثة قرون متتالية ،وأصبح جويسكارد هو السيد على الجنوب الإيطالي[٤٠] ،ووصلت الأمور في الدولة البيزنطية إلى الدرك الأسفل من الإنحطاط[٤١]

امتلك روبرت جويسكارد بعد إستيلائه على باري موضعاً بالغ المناعة في أبوليا، استطاع منه أن يفرض سلطانه على أتباعه، وأن يرث ما كان لإمبراطور بيزنطة في هذا الثغر من مكانة هامة وهيبة[٤٢] ،كما أصبحت مدينة باري قاعدة تخرج منها الهجمات للإستيلاء على المدن الساحلية مثل مدينة سالرنو،وأصبحت حافزاً للنورمان لإعداد العدة للوثوب على الإمبراطورية ذاتها [٤٣] ، وذلك بعد موقعة مانزكرت والتي دارت بين الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينس وبين سلطان السلاجقة ألب أرسلان[٤٤] سنة ١٠٧١م/٤٦٤هـ، والتي انتهت بإنتصار الب أرسلان وهزيمة الإمبراطور وأسره

[٤٥]، وانتقال العرش البيزنطي إلى ميخائيل السابع دوقاس Michael VII Ducas (١٠٧١-١٠٧٨/٤٦٤-٤٧١هـ)[٤٦].

كان لمعركة مانزكرت نتائج خطيرة على بيزنطة ومن أهم نتائجها أن بعض المؤرخين اعتبر أن تلك المعركة كانت سببا مباشرا للحروب الصليبية[٤٧] إذ فقدت بيزنطة اسمها كحامية للحدود الشرقية الأوروبية بعد هزيمتها المريرة في تلك المعركة[٤٨].

واجهت الإمبراطور ميخائيل السابع صعوبات جمة بعد تلك المعركة من أعداء الدولة البيزنطية المحيطين بها ،لذا بدأ يستقطب الشباب الأكفاء في دولته، وكان منهم شاب يدعى الكسيوس كومنين دخل في خدمة ميخائيل السابع مع إخوته ،فقام الإمبراطور بتعيينه ضابطاً في فرق الحدود البيزنطية[٤٩].

اكتشف ميخائيل السابع أن جماعات المرتزقة في الجيش البيزنطي من النورمان كانوا مصدر خطر عظيم عليه ،وعلى رأسهم أحد قادة أولئك النورمان المرتزقة ويدعى رسل باليل Roussel Of Bailleul، الذي أعلن عصيانه على الإمبراطور ميخائيل السابع سنة ١٠٧٣م، وقاد ثلاثة آلاف من أتباعه وتوجهوا إلى الأراضي المحيطة بقونية وأنقرة واستولوا عليها[٥٠].

رأى الإمبراطور ميخائيل السابع في شجاعة وحماسة الشاب الكسيوس كومنين مايؤهله لقيادة حملة ضد رسل باليل، والقضاء على ذلك القائد الخطير ،فألكسيوس على الرغم من صغر سنه ورتبته، إلا أنه كان خبيراً بالطرق الكفيلة في القضاء على الخطر النورماني[٥١].

تجلت موهبة الكسيوس وذكاءه عندما تمكن من مراوغة رسل باليل، و نجح في القبض عليه وتم نقله إلى القسطنطنية فسملت عينيه، وبعد ذلك ارتفعت مكانة الشاب الكسيوس كومنين عند الإمبراطور ميخائيل السابع ، فعينه رئيساً للحرس[٥٢].

سار ميخائيل السابع دوقاس على سياسة سلفه رومانوس الرابع في التقرب من الأمير روبرت جويسكارد ،وامتنع عن المطالبة بحق بيزنطة في ممتلكاتها في جنوب إيطاليا، ليحقق هدفين أولهما: تأمين نفسه من أي هجوم من جانب الأمير روبرت ضد دولته بيزنطة ، وثانيهما: هو حث النورمان على مساعدته في دفع الأتراك السلاجقة عن آسيا الصغرى[٥٣].

عرض الإمبراطور ميخائيل السابع على جويسكارد مشروع مصاهرة بزواج ابنه قسطنطينConstantine من إحدى بنات جويسكارد[٥٤]، ومايتبع تلك المصاهرة من تحالف، وقد كرر ذلك الطلب مراراً ونجح في إتمام المصاهرة ،و توقيع معاهدة بيزنطية نورمانية سنة١٠٧٤م مع روبرت جويسكارد، اعترفت فيها بيزنطة بالوجود النورماني جنوب إيطاليا من جهة، وتنازلها عن حقوقها في إيطاليا من جهة أخرى [٥٥].

قبل جويسكارد تلك الإتفاقية مع الإمبراطور البيزنطي ليمنع أي اتفاق بين بيزنطة والبابوية، فقد كانت هناك مفاوضات بين الطرفين[٥٦]، من أجل رغبة بيزنطة الحصول على مساعدة عسكرية من البابوية لإنقاذها من الزحف السلجوقي ،ولكن تلك المفاوضات باءت بالفشل بسبب انشغال البابا جريجوري السابع بمشكلة التقليد العلماني[٥٧].

كثرت الدسائس حول العرش البيزنطي وانتهت بخلع الإمبرطور ميخائيل السابع على يد نقفور بوتناياتس[٥٨]Nicephorus III Botaniates(١٠٧٨-١٠٨١م/٤٧١-٤٧٤هـ) سنة ١٠٧٨م ،ولم يبق له سوى حليفه النورماني الذي أعطى لنفسه الحق في استكمال مشروعه التوسعي في أراضي الدولة البيزنطية ،متذرعاً برباط المصاهرة بينه وبين ميخائيل السابع ،فقام بالدفاع عن صهره المخلوع ، ورأى جويسكارد نفسه الوارث الشرعي للإمبراطور البيزنطي الذي حاكاه في زيه وقلد خاتمه، وارتفع شأنه في إيطاليا وأصبح يعتقد أنه من السهل اعتلاء عرش الدولة البيزنطية ، وعاش من أجل تحقيق حلمه في أن يصبح امبراطوراً رومياً ويضم بيزنطة لحكمه[٥٩].

لم يقبل رئيس الحرس "الكسيوس كومنين" وجماعته الإمبر طور الجديد نقفور الثالث بوتانياتس، فقاموا بالعديد من الثورات الداخلية، التي انتهت بعزله[٦٠] و اعتلى بعدها عرش الدولة البيزنطية رئيس الحرس الكسيوس كومنين كإمبراطور لها وذلك في سنة ١٠٨١م/٤٧٤هـ ، واستطاع الكسيوس بعد اعتلائه العرش تأخير انحلال بيزنطة إلى مايقرب من مائة عام[٦١].

انتسب الإمبراطور الكسيوس إلى أسرة كومنين Comnen، وهي أسرة ارستقراطية عريقة يرجع أصلها إلى قرية كومن في وادي تونجا قرب هاوريانويل ،وقد حصلت تلك الأسرة بجدها وكفاحها على ثروة طائلة، وغدت من كبار الأسرات الإقطاعية في آسيا الصغرى[٦٢].

عاصر الكسيوس كومنين أحداث الزحف السلجوقي النورماني المزدوج على الدولة البيزنطية، فقد كان في الرابعة عشر من عمره حين أخذ الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجين يعبيء قواته سنة ١٠٧٠م استعداداً لملاقاة الزحف السلجوقي عند مدينة مانزكرت، وكانت حماسته شديدة للإلتحاق بالجيش البيزنطي للمساهمة في الحرب ضد السلاجقة، ولكن حال بينه وبين تحقيق رغبته بعض الظروف الخاصة، فظل يراقب أحداث الصراع بين الإمبراطور رومانوس والسلاجقة وهو الصراع الذي تقاعست فيه الفرق المرتزقة من النورمان بقيادة رسل باليل عن أداء واجبها في القتال، حتى انتهى الأمر بهزيمة البيزنطيين هزيمة ساحقة في تلك المعركة[٦٣].

شب الإمبراطور الكسيوس كومنين(١٠٨١-١١١٨م) وهو حانق على المرتزقة النورمان شديد الكراهية لعنصرهم وطباعهم الماكرة ،وقد تجلى ذلك العداء في تمكنه من القضاء على رسل باليل في عهد ميخائيل السابع كما سبقت الإشارة ، وظلت تلك المحاولة راسخة في تفكيره وأصبحت درساً تعيها ذاكرته ،بل يمكن القول أنها كونت لديه عقدة من أولئك النورمان الذي أدرك أنه لا يمكن الوثوق بهم، خاصة أن طموحاتهم لم تقتصر

على جنوب إيطاليا بل تخطتها إلى طموحات واسعة في الإستحواذ على العرش البيزنطي،وامتلاك القسطنطنيةعاصمة بيزنطة [٦٤].

يعتبرالكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) من أشهر رجال الأسرة الكومننية وباني مجدها الحقيقي ،كان رجلا ذكياً حاضر الذهن قوي الإرادة، قائدًا عظيماً ماهراً، اتصف بالدبلوماسية وحسن السجية ،وسرعة البديهة، والقدرة على ضبط النفس، واستخدام الحيلة لمصلحة البلاد وهو ما احتاجته الدولة ،إذ كان الكسيوس هو رجل الساعة لمواجهة الصعاب المحيطة بدولته، وكان من أهمها تقدم السلاجقة المطرد في آسيا الصغرى، وتهديد جيران الإمبراطورية لها في الوقت الذي كانت تعاني فيه الدولة من مشاكل لاحد لها ،ولذا كانت الدولة البيزنطية صيداً سهلاً للأطماع النورمانية التي كانت من أشد الأخطار المتربصة بها[٦٥].

تجلت الأطماع النورمانية في بيزنطة بوضوح بعد تولي الكسيوس العرش البيزنطي عندما رغبوا في الإستيلاء على القسطنطنية، وبناء دولة لأنفسهم على أنقاضها[٦٦].

لم يكن باستطاعة الإمبراطور البيزنطي وقتذاك مواجهة النورمان وإبعاد خطرهم عن عاصمته، إذ لم يكن قد بدأ في تنظيم البحرية والجيش البيزنطي، ولم يكن تحت إمرته في السنوات الأولى من حكمه قوة كافية لإزالة ذلك الخطر، فرأى الكسيوس كومنين أن يحل جميع مشاكل دولته ، وأن يرتب أمورها ثم يتفرغ لمواجهة النورمان ، فقام بالعديد من الإجراءات التي تساعده في ذلك، منها لجوئه إلى الدهاء والحيلة وسياسة تسليط الأعداء بعضهم على بعض تحقيقاً لأغراضه[٦٧]، فاتفق مع بعض النبلاء الذين كانوا يقيمون في القسطنطنية -كلاجئين سياسيين ،مستغلاً الخلافات التي كانت بينهم وبين روبرت جويسكارد حاكم إيطاليا النورماني- فأرسلهم الكسيوس سراً إلى إيطاليا لإشعال الثورة ضد جويسكارد[٦٨] ،كما أرسل للبابا جريجوري السابع يطلب منه التأييد والدعم ضد النورمان[٦٩]، ولكن لم يسفر ذلك الطلب عن رد إيجابي فقد كان للبابا جريجوري سياسة خاصة مع النورمان[٧٠] ، كذلك أرسل سفارة لمقابلة هنري الرابع ملك ألمانيا[٧١]، الذي

وعد أعضاء السفارة بالتدخل في إيطاليا ضد جويسكارد ،وتمت بينهما إتفاقية على ذلك[٧٢] ، وكان الكسيوس يهدف من ذلك إلى إشباع رغبة هنري الرابع في تحقيق الأمل الذي راود جميع الأباطرة الغربيين في تحقيقه، وهو عالمية الإمبراطورية الرومانية[٧٣] ،كما عقد بينه وبين جمهورية البندقية معاهدة تجارية[٧٤] ،استغلها لإستخدام أسطولها في المعارك البحرية ، ووعد رجالها بالمكافآت والحوافز[٧٥]، ولم يترك الكسيوس وسيلة إلا أتبعها لإحباط المشاريع التوسعية للنورمان، فلم يتردد في عقد معاهدة صلح بينه وبين سليمان بن قتلمش سلطان سلاجقة الروم[٧٦] ،الذي كان يقوم بالهجوم على المناطق البيزنطية في آسيا الصغرى ،ووصلت فتوحاته إلى نيقية، فاستطاع الكسيوس بواسطة تلك المعاهدة أن يهادنه ويأمن خطره[٧٧]، وينصرف إلى أعدائه النورمان لملاقاتهم ودفع خطرهم[٧٨] .

لم يكن روبرت جويسكارد أقل استعداداً من الإمبراطورالبيزنطي، فقد جهز جيشاً كثيفاً وصفته المؤرخة أنة كومنينAnaa Comnen بأنه كان هائل العدد والتسلح ، يلقي الخوف في قلب كل من يراه [٧٩] ،وتولى بوهيمند بن روبرت جويسكارد قيادة القوات التي سبقت والده و المتجهة لغزو الأراضي الغربية للدولة البيزنطية، فتوجه بوهيمند مبحراً نحو جزيرة البلقان في سنة١٠٨١م[٨٠] واستولى في طريقه على أفلونهAolona على الشاطئ الغربي للبلقان[٨١] ،وجعلها قاعدة للجيش النورماني، الذي كان يستعد للخروج مع جويسكارد نفسه [٨٢].

خرج جويسكارد من إيطاليا بمباركة من البابا ، وانضم لقوات ابنه في أفلونا، وتمكنوا من الإستيلاء على كورفو، وتقدموا إلى دورازو، وخرج الكسيوس إلى لقائهم في تلك المدينة ،ودارت بين الطرفين معركة حاسمة إلا أن الإمبراطور البيزنطي هزم، فعهد بالدفاع عن قلعة المدينة إلى فرقة من صفوة مختارة من الجند، من بينهم بنادقة من سكان دورازو ،ولكن البنادقة أوهن عزمهم هزيمة الإمبراطور ،فعقدوا العزم بالإجماع على

فتح أبواب المدينة لروبرت جويسكارد، فتمكن من دخولها في سنة١٠٨٢م[٨٣] ،وصار الطريق مفتوحاً "أمام القاهر النورماني" [٨٤]

أعد الإمبراطور الكسيوس جيشا لمقابلة جويسكارد وابنه، وانتقل إلى البلقان لصد ذلك الزحف، ولكن قواته منيت بالعديد من الهزائم، واستولى النورمان على دورازو سنة١٠٨٢م[٨٥]، وأصبحوا قاب قوسين أوأدنى من القسطنطنية.

اتخذ جويسكارد من دورازو قاعدة انطلاق له ، وبدأ في محاولة شق الطريق إلى القسطنطنية، فنهب وخرب الكثير من المدن، حتى بدا له أن حلمه بالجلوس على العرش البيزنطي بدا قريباً، ولكن ذلك لم يفت في عضد الكسيوس كومنين، فسياسته الخارجية بدأت تؤتي أكلها، ووصلت إلى جويسكارد أخبار عن قيام بعض زعماء النورمان بالثورة ضده في جنوب إيطاليا[٨٦]، بالإضافة إلى زحف الإمبراطور هنري الرابع على إيطاليا ،لإحتلال إقليم لمبارديا طبقاً للإتفاقية التي أبرمت بينه وبين الكسيوس، لذا أجبر جويسكارد على الرحيل إلى بلاده سنة١٠٨٢م[٨٧]، تاركاً قيادة العمليات الحربية لإبنه بوهيمند بعدما نصحه بالتعاون مع بقية القادة، وعدم التهاون أمام خصمه الكسيوس كومنين [٨٨]،وكان هدف جويسكارد أن يجعل ابنه بوهيمند إمبراطوراً على القسطنطنية في حالة تغلبه على ألكسيوس[٨٩] .

تولى بوهيمند القيادة العليا للجيش بعد رحيل والده، ووقف أمام الإمبراطور الكسيوس [٩٠]،واندفع في ساحة القتال في جرأة ، واعتمد في حربه مع الكسيوس على طريقة الكر والفر، وقد تطلب الأمر من الكسيوس الإستنجاد بسلطان سلاجقة الروم، الذي أمده بسبعة آلاف من الجنود المهرة، إلا أن ذلك لم يحمه من الهزائم التي سددها له بوهيمند مراراً وتكراراً، إذ كان الأخير يدرك خطط الإمبراطور البيزنطي، وتمكن من التغلب عليها ، حتى أجبر الإمبراطور على الفرار عقب كل هزيمة، في حين أن ابنة الإمبراطور أنة كومنين كانت تدافع عن أبيها، وتصور ذلك على أنه استراتيجية حرب ،وذلك في كتابها الإلكسياد [٩١] .

استخدم الإمبراطور الكسيوس كومنين مع بوهيمند أسلوب آخر عندما يأس من الإنتصار عليه وجهاً لوجه، انتهز فرصة عدم مقدرة بوهيمند في دفع مرتبات قادته فأوعز إليهم بالضغط على بوهيمند وإجباره على الإيفاء بالتزاماته المالية لهم، وبذلك أجبره على التخلي عن المدن التي استولى عليها ولم يجد بوهيمند مفراً من العودة إلى إيطاليا[٩٢].

تقابل بوهيمند مع والده ،ورأى جويسكارد خسارة بوهيمند مرسومة على وجه كما أشارت إلى ذلك المؤرخة أنة كومنين، ولكنه تناسى ألمه ودعى لحرب جديدة ضد الإمبراطور الكسيوس، وبدأ بإرسال أسطول تمكن من الإستيلاء على كافلونا Cephalonia، وظل ذلك الأسطول منتظراً قدوم جويسكارد نفسه[٩٣].

وصل روبرت جويسكارد إلى أفلونا ، ودارت بينه وبين الإمبراطور العديد من المعارك التي كان النصر والهزيمة فيهما سجالاً بين الطرفين ،ولكن تدخلت مشيئة الله لصالح الكسيوس إذ أصاب جويسكارد وجيشه وباء، راح ضحيته عدد كبير من الرجال، ومعهم جويسكارد نفسه فقد أصيب بحمى شديدة توفي على أثرها في سنة ١٠٨٥م، وكان في السبعين من عمره بعد حكم دام ٢٨ سنة[٩٤] .

أما بوهيمند فعلى الرغم من إصابته بذلك الوباء، إلا أنه لم يمت فحمل جثمان أبيه وعاد إلى إيطاليا، حيث تم دفن جويسكارد في شمال جزيرة كافلونا، وعلى الرغم من إحساس أنة كومنين بالغضب على كل ماهو لاتيني ، وعلى الرغم من حروب جويسكارد المتعددة مع والدها إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تعطي جويسكارد حقه، فقد وصفته بأنه قائد غير عادي سريع البديهة ذا مظهر أنيق ،كما أشارت بأنه كان شديد الإهتمام بجنوده، وكان يعاملهم بكل احترام خاصة من يشعر بولائه نحوه ،كذلك فقد أشارت إلى حسن سيرته بين الناس حتى أن بعضهم اعتبر أن موته خسارة على الإمبراطور نفسه وكان من الخطأ التقاتل معه[٩٥].

لم يزح وفاة جويسكارد الشبح الرهيب الذي أقض مضجع الدولة البيزنطية وإنما أدى إلى تأجيل الصدام فقط بين القسطنطنية والنورمان[٩٦]، وعلى أية حال فقد ترك روبرت جويسكارد أربعة من الأبناء تصارعوا فيما بينهم على ميراث والدهم في جنوب صقلية [٩٧]،بدلاً من الإستمرار في تحقيق حلم والدهم في السيطرة على الدولة البيزنطية ،واندلعت بذلك حروب أهلية في جنوب إيطاليا[٩٨]، وتبددت آمال بوهيمند ووجد نفسه بعيداً عن أحلامه العريضة غارقاً في حروب الوراثة الضيقة الآفاق ، ولهذا تأجل مشروع غزو القسطنطنية إلى حين. ويشير أحد المؤرخين إلى أن جويسكارد كان يخطط لتتويج ابنه بوهيمند إمبراطوراً على بيزنطة، وكان بنفسه يسعى لتكوين إمبراطورية له في الشرق الإسلامي ،وإذا صح ذلك الرأي فجويسكارد هو الذي لفت أنظار أبناءه إلى الشرق الملئ بالكنوز والمغامرة والسلطان[٩٩].

هدد الغزو النورماندي للأراضي البيزنطية بتأييد من البابوية ،كيان بيزنطة ، وترك في نفوس البيزنطيين مرارة قاسية ،وضاعف من كراهيتهم للاتين، وكان ذلك برهاناً على عداوة كنيسة روما للإمبراطورية البيزنطية[١٠٠].

أرتاح الإمبراطور الكسيوس بعد موت جويسكارد، وأحس أن حملا ثقيلاً أزيح عن كاهله إذ تمكن من استرداد ما احتله النورمان فاسترد مدينة دورازو، وتمكن بعدها من إقفال صفحة النورمان ولو بشكل مؤقت، بعد أن أنهكوا دولته حكومة وشعباً أكثر من أربع سنوات من سنة١٠٨١ وحتى سنة١٠٨٥م[١٠١].

كان لإحتكاك الكسيوس بالنورمان نتائج هامة منها إزدياد عدائه للنورمان، الذين كان من الممكن أن يسلبوه عرشه بين عشية وضحاها، كما أن خلفاء روبرت جويسكارد لم يتمكنوا من نسيان طريق الشرق، وهو الطريق الذي تطلع إليه بوهيمند النورماني وابن أخته تانكريد عندما واتتهما الفرصة في الإشتراك في الحملة الصليبية الأولى، إلى جانب أن ذلك الإحتكاك ترك ذكريات سيئة في نفس كل من الكسيوس وبوهيمند وتانكريد[١٠٢].

بعد زوال خطر النورمان التفت الكسيوس لخطر الأتراك السلاجقة الذين اقتطعوا أجزاء كبيرة من أراضي دولته، وقد وجد الإمبراطور أنه لا قبل له بمواجهة ذلك الخطر بمفرده لذا فقد اتجه إلى البابوية واتبع سياسة تتصف بالمرونة المطلقة واللباقة الفائقة مع البابا أوربان الثانيUrbanII (١٠٨٨-١٠٩٩م) لاستدراجه لمساعدته[١٠٣].

لقى ذلك الطلب نوعاً من القبول لدى البابا أوربان الذي حاول أن يستغل ذلك لتنفيذ ما كان يحلم به كل من شغل منصب البابوية[١٠٤] وهو إيجاد نوع من التقارب بين الكنيستين الشرقية والغربية تحت الزعامة البابوية[١٠٥]،ولتكون فرصة طيبة لتخفيف الحروب والمنازعات التي كانت سمة الأمراء والفرسان في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى ونقلها إلى الشرق[١٠٦]، يضاف إلى ذلك توحيد أوروبا خلف البابا من خلال الدعوة لحملة صليبية[١٠٧].

أشعل أوربان فتيل الحملة الصليبية في مدينة كليرمونت Clermont بفرنسا سنة١٠٩٥م[١٠٨] ،وكانت خطبته مثالاً رائعاً للخطب البليغة المؤثرة في التاريخ الأوروبي ، فقد لمس أوتار كل دافع كان يمكن أن يكون موجوداً لدى الحاضرين - سواء كان ذلك الدافع دينياً أو غير ذلك - يدفعهم لحمل شارة الصليب[١٠٩] ،ووجه أوربان الجموع المحتشدة للإنخراط في حملة صليبية بحجة أن الأتراك السلاجقة تقدموا داخل الدولة البيزنطية، وانتزعوا أراضيها خاصة وأراضي المسيحيين عامة ، وقد زعم في خطبته أن المسلمين " قتلوا وأسروا النصارى ودمروا الكنائس وحطموا دولة الرب"[١١٠].

حث أوربان في خطبته الرجال سواء كانوا فرسان أم مشاة نبلاء أو عبيداً أغنياء وفقراء للمسارعة وسحق الأتراك، ومد يد العون للمسيحيين"يعظكم المولى أيها التابعين للمسيح من فرسان وراجلين، أغنياء وفقراءلتهبوا مساهمين في طرد ذلك الجنس الفاسق الفاسد من أراضينا النصرانية قبل فوات الأوان"[١١١]، وانقاذ الضريح المقدس من أيدي المسلمين قبل فوات الآوان، كما طرح أمام مستمعيه إمكانية إقامة ممالك في فلسطين" الأرض التي تفيض باللبن والعسل" ووهب البابا لكل من تطوع في تلك الحملة امتيازات مادية

وروحية منقطعة النظير" سيكون العفو عن الذنوب والخطايا من نصيب أولئك الذين سيتقدمون إلى الأمام"[١١٢]، هذا إلى جانب وعده ببسط الحماية البابوية على أملاك وعائلة كل من يشارك في الحملة الصليبية[١١٣].

بعد خطبة أوربان الثاني بدأت الإستعدادات في الغرب الأوروبي على قدم وساق للإشتراك في الحملة المقدسة، وذلك استجابة لتلك الدعوة وقد شارك في الحملة أعداد غفيرة لاحصر لها ، فذكرت المؤرخة أنة كومنين أن أعدادهم "فاقت رمال شوا طئ البحر ونجوم السماء"[١١٤] ،وشارك المؤرخ زوناراس أنة كومنين في تصوير عددهم الهائل بقوله" إن تلك الحشود لانهاية لها وهي أشبه بالجراد تهب من بلاد الغرب وتسرع في طيرانها بين السحب لتحجب ضوء الشمس"[١١٥] وعلى الرغم من صيغة المبالغة للمؤرخين إلا أنها تعطينا فكرة واضحة عن كثرة أعداد الصليبيين الذين اشتركوا في الحملة.

انقسمت الحملة التي دعا لها أوربان الثاني إلى قسمين: حملة العامة، وحملة الأمراء أما حملة العامة فقد انطلقت غير مبالية بالوقت الذي حدده أوربان في سنة ١٠٩٥م/٤٨٩هـ وواجهت تلك الحملة الفشل على يد السلاجقة، الذين انقضوا عليهم وأبادوا معظمهم، ووقع بعضهم في الأسر، أما من نجى منهم فقد عبروا آسيا الصغرى عائدين إلى القسطنطنية منتظرين حملة الأمراء[١١٦].

سمع بوهيمند النورماني عدو الإمبراطور الكسيوس القديم بخطبة أوربان ودعوته سنة١٠٩٥م الأمراء للإشتراك في الحملة الصليبية[١١٧]، فقد كانت تجمعه بالبابا علاقة وثيقة[١١٨]، وقد أدرك أن هذا الطريق هو الذي كان يتطلع إليه، ولم تلبث الحروب الصليبية أن أمدته بفرصة لإختراقه ، ولكن كان هناك ماجعله يتردد في الإشتراك في تلك الحملة، وهو أن والده روبرت جويسكارد كان قد طلق والدته وأوصى بدوقية أبوليا إلى ابنه روجر من زوجته الثانية[١١٩]، فأعلن بوهيمند الثورة على أخيه ، واستولى على مدينة تورنتو، وبدأ يعد العدة لإنتزاع دوقية أبوليا من أخيه[١٢٠]، وقد قام عمه روجر أمير صقلية

بمحاولة للإصلاح بينه وبين أخيه، إلا أن بوهيمند وجد في عمه منافسا آخرله ، وبعد تفكير عميق وجد بوهيمند أن اشتراكه في تلك الحملة الصليبية أمراً مهما بالنسبة له ،فعن طريقها من الممكن توجيه عمل عسكري ضد البيزنطيين، وهي فرصة لمعاودة الهجوم على بيزنطة بتشجيع من البابوية[١٢١]، كما أنها فرصة لتحقيق حلمه في إقامة مملكة نورمانية في الشرق[١٢٢]، والتخلص من منافسات عمه أمير صقلية، ولذا تخلى عن الإستيلاء على دوقية أخيه في أبوليا [١٢٣]، وقرر الإشترك في الحملة الصليبية الأولى، وبدأ في إعداد جيشه، وخلع ردائه الأحمر الثمين ومزقه قطعاً صغيرة ،جعل منها صلباناً لقادته الذين حذو حذوه[١٢٤].

كان لبوهيمند النورماني أختاً تدعى إيما وهي والدة تانكريد التي سبقت الإشارة له، وقد أطلقت أخته على ولدها هذا الإسم تيمنا بجدها تانكريد هوتفيل، وقد استطاع تانكريد حفيد روبرت جويسكارد أن يكون مشهوراً مثل جده وأخواله[١٢٥] ، الذين حققوا مجداً عسكرياً امتدحهم لأجله الجميع سواء خارج وطنهم نورمانديا أو داخله، فمن ينسى جده جويسكاردالذي كانت رايته الظافرة تثير الهلع في قلب إمبراطور الدولة البيزنطية الكسيوس كومنين، و تمكن من قهره، وأخضع أجزاء من دولته بمشاركة ابنه بوهيمند، أما باقي أخواله وعددهم عشرة فقد تمكنوا من إخضاع كمبانيا وأبوليا وكالابريا[١٢٦]،

لم يغر تانكريد ثراء أجداده فيجعله مسرفاً مبذراً، ولم يتكبر نتيجة لسلطان عائلته، وإنما كان ذهنه مشغولا أياماً طوالاً، يجادل نفسه والقلق الشديد يقض مضجعه ، وهويشاهد معارك عسكرية وإستعدادات لما يعرف بحرب مقدسة، ولكنه كان يدرك أن تلك المعارك تخالف وصية ربه، فالمسيح يوصي بأن من ضرب على خده عليه أن يدير لمن ضربه خده الآخر، أما المعارك فإنها لاتحقن الدماء، والمسيح يوصي من يرتدي عباءة أوثوباً فليتصدق به، وضرورة الحرب تستحث الطرفين على وجوب السطو وحمل الغنائم[١٢٧].

إن جميع تلك الأمور كانت تشغل ذهن تانكريد وتقلق باله وتحد من شجاعته ، فعندما سمع نداء البابا أوربان الثاني لكل الصليبيين بالزحف على المسلمين ، اشتعل حماسة وشحذت قواه، وتفتحت عيناه وتجلت شجاعته ،ولكن ذهنه كان مشتت بين أمرين أيتبع آيات الأنجيل أم مظاهر الدنيا؟، واستقز رأيه واستعاد مراسه وخبرته بالسلاح، من أجل إتباع نداء أوربان،ليحقق في تلك الفرصة طموحاته، فالتهب حماسة للقتال، واشتد اهتمامه بالخروج، وتم اعداد اللوازم الضرورية في وقت وجيز، ولم يسرف تانكريد في جمع كثير من المؤن، وقد كان قد اعتاد على القناعة والزهد، ومع ذلك فقد أعد عدته من السلاح وعدداً كافيا من الخيول والبغال وجميع مايخص رجاله على الرغم أن عمره لايتجاوز العشرين عاماً[١٢٨].

رغب تانكريد في أن يحتل مكانة مميزة في حملة خاله بوهيمند، ويستفيد منها في تحقيق أطماعه في المستقبل، ولذا فقد أرسل إلى خاله أموالاً وهدايا، ووعده بأن يعمل بنفسه تحت إمرته كرجل ثاني، وبعبارة أخرى قائد تحت إمرة ملك ،و لعل ما دفع تانكريد إلى ذلك هو صلة القربى، والرغبة في تأمين وسائل الإنتقال، وهكذا تحالف آل جويسكارد وتم الإتفاق على الإبحار والرسو عند إبيروس ثم التقدم إلى القسطنطنية[١٢٩].

وعلى ذلك يمكن القول أن بوهيمند وتانكريد قد اشتركا في الدوافع التي حثتهما على الخروج في الحملة الصليبية، ألا وهي تحقيق بعض المجد الذي ربما حرموا منه في بلادهم سواء كان ذلك المجد على حساب المسلمين أو البيزنطيين[١٣٠].

لم يلهب نداء البابا أوربان الثاني تانكريد وخاله بوهيمند فقط، بل ألهب كثير من الأمراء في أوروبا ليهبوا لتحرير بيت المقدس من نير المسلمين" كما يدعون" ،وقد تدافع العديد من الأمراء للإشترك في الحملة التي حملت إسمهم[١٣١].

لم يكد الإمبراطور الكسيوس كومنين يتخلص من الحملة الشعبية، حتى سمع بقدوم حملة الأمراء أو الحملة النظامية ،التي خرج الأمراء فيها من عدة مدن وفي فترات زمنية

مختلفة إلا أنها متقاربة، وقد سبب ذلك الأمر قلقاً للإمبراطور لاحد له ،ولذا قرر اتباع سياسة معينة ليستخدمها مع أولئك القادمين لإتقاء شرهم، والمحافظة على ممتلكات دولته من عبثهم، ولحماية أرواح المواطنين هذا من جهة، ومن جهة أخرى للإستفادة منهم في تحقيق مايصبو إليه من القسم بالولاء والتبعية له، سواء كان ذلك بالترغيب والتهديد أو الردع ،لإسترداد ما استولى عليه السلاجقة من أراضي دولته ،مع مراعاة تطلعات قادة تلك الحملات وأطماعهم المادية الواسعة وذلك بالسماح لهم بإمتلاك مايريدونه من المدن الإسلامية، طالما أن ذلك لايدخل ضمن دائرة أملاك دولته، ووضع الكسيوس في اعتباره أن ماسيستولي عليه الصليبيون من إمارات إسلامية ستقوم بدور الفاصل بين المسلمين والبيزنطيين، ومع أخذ الكسيوس لجميع تلك الإعتبارات إلا أنه كلف قواته بمراقبة الطرق في أراضيه ،والتعامل مع كل جيش بمايتفق مع معرفته بأميره [١٣٢].

طبق الكسيوس سياسته على القادة الصليبيين الذين قدموا إلى القسطنطنية، وطلب من كل أمير أن يقسم له يمين الولاء والتبعية[١٣٣] Hominagium ،فمنهم من رحب بتطبيق سياسة الإمبراطور في سهولة ويسر، ومنهم من عارضها في حينها وأجبرته الظروف على قبولها، ومنهم من أعاد صياغة بنودها[١٣٤].

أما بوهيمند وابن أخته تانكريد فقد خرجا بجيوشهما مع حملة الأمراء الذين سبقهما البعض في الوصول إلى القسطنطنية، وقد اختار بوهيمند أن يسلك طريقاً غير مألوفاً صوب القسطنطنية نظراً لخبرته السابقة بتلك البلاد[١٣٥] أما تانكريد فقد بدأ في تطبيق شجاعته بصورة عملية أثناء السير فكان يهاجم الكمائن الموجودة في الطريق، ويتعقب قطاع الطرق وكان ذو منفعة للجيش إذا تقدم عنه أو تأخر، فهو معلقاً سلاحه على كتفه ويجد سعادته في مجابهة الأخطار " فإذا كان الآخرون غارقون في شرب النبيذ والسبات يظل هو متيقظاً يتجول في الطرقات" تارة يزيح الثلوج بذراعيه وأخرى يطعم الجوعى وتارة يمسك بالمجداف سائقاً لقارب[١٣٦]،وقد حاول بتوجيهات من خاله أن يتجنب الطرق التي تكثر فيها العيون البيزنطية[١٣٧].

وللمؤرخ المجهول رأي آخر فقد أشار إلى أن تانكريد لم يخرج مع خاله في حملته، وإنما خرج مع قائد آخر هو هيوج كونت فرماندو Hugh Count Vermando ،وعند الرسو في ميناء دورازو تم إلقاء القبض عليهما من قبل واليها الذي دبر لهما خطة دنيئة، وذلك بترحيلهما إلى القسطنطنية، للوقوف أمام الإمبراطور ويقسما له يمين الولاء[١٣٨] ،وقد أشارت المؤرخة أنة كومنين إلى تلك الحادثة بطريقة مشابهة إلا أن ماكانت ترويه عن هيو بمفرده ولم تتطرق من بعيد أوقريب إلى تانكريد[١٣٩] ونظراً لأن ذلك الرأي انفرد به المؤرخ المجهول ولايوجد مايسانده في المصادر والحوليات التي تناولت تلك الأحداث لذا لايمكن الإعتداد به.

أدرك الإمبراطور الكسيوس كومنين نوايا بوهيمند الخبيثة منذ سماعه بخروجه، وعند ذلك دخل القلق في نفسه لخبرته بتنظيمات جيش الأمير بوهيمند الجيدة وشدة بأسه وتسلحه ،ولذا أصدر أوامره إلى قادة جيوشه بمسايرة القوات الصليبية باستمرار وجنباً إلى جنب حتى نهرالوردار Vardar وشن الغارات المفاجئة المتوالية على الجيش المتقدم كلما سنحت الفرص سواء في الليل أو النهار سراً وعلانية فقد كانت لدى الكسيوس هواجس شديدة ومخاوف من قدوم بوهيمند لأنه سبق له وقد عانى الكثير منه ومن والده [١٤٠]، ويعتبر بوهيمند مثال سيء على سلوك النورمان كما كان من أشدهم عناداً وغدراً[١٤١]

وقف نهر الوردارعقبة في تقدم جيش بوهيمند وتانكريد ، وكانت كلتا ضفتي النهر مليئة بالمخاطر والتهديد من قبل اعدائهما البيزنطيين، وعندما رأى تانكريد تردد رجال الجيش في العبور ألقى بنفسه في خضم الخطر مغامراً بحياته يخترق لجة الماء،[١٤٢] وما أن فعل ذلك حتى تبعه بقية جيشه مرغمين لما رأوه من إقدامه ،وقد انتابهم الخوف على عكس تانكريد الذي أثبت لهم "أن الشجاعة تأتي بالنصربحق وأن لا ثمن له إلا هي وأنها مجلبة للغنائم" فتلاشى الخوف لدى رجاله[١٤٣].

أدرك البيزنطيون أن صيدا ثميناً قد جاهم فهاهم النورمان أعداء بيزنطة التقليديين قد قدموا " وأن الفريسة ستسقط في يد الصائد" فخرجوا من كمائنهم يطلقون سهامهم من كل مكان حتى بدت وكأنها محصول ضخم تساقط على الصليبيين"[١٤٤].

أما تانكريد الذي كان منذ صغره متدرباً على كل فنون القتال، لم ينطلق مسرعاً ولا قافزاً ،وإنما كان يمشي الهوينى متحاشيا السهام التي كانت تمطر الجيش ،وبدا وكأنه خبير بأساليب قتال ذلك العدو، وظل يتقدم ليثبت أنه يعرف كيف يهزم البيزنطيين في سهولة متناهية، كان تانكريد يتحكم في مشاعره وبدا متماسكاً بدافع من حصافته واستطاع أن يملك زمام الموقف، وتخلت الفرقة البيزنطية التي كانت تتبعه عن صبرها " فأرخت أعنة جيادها وفرقعت سياطها"، ولم تكن دروع البيزنطيين لتقاوم إقدام قوات تانكريد ، وعندئذ انطلقت سهام البيزنطيين تنهال على قوات تانكريد، إلا أن ذلك لم يكن ذا جدوى ، وعندئذ تخلى البيزنطيون عن الرمي بالسهام واستلوا سيوفهم، ورغم ما أصابوا من الفرنجة وما أحدثوه من جروح هائلة إلا أنهم لم يستطيعوا رد جيش تانكريد على أعقابه[١٤٥].

تراجع البيزنطيون وتعلموا أن لايستهينوا بقلة عدد عدوهم ، فالواحد من رجال تانكريد بمائة رجل على حد تعبير رادولف دي كان ولذا شق تانكريد طريقاً مناسباً وحمل على أعدائه فقتل الكثير من البيزنطيين وجرح الكثير وتعالت راياته [١٤٦].

تغطت ضفتي النهر عن اليمين والشمال بأشلاء القتلى وهم غارقون في دمائهم ، ولم تكن هناك فرصة أمام جيش البيزنطيين سوى الإسراع بالجري، وهم يبذلون قصارى جهدهم والدماء تنساب منهم فتغطي الأرض وهم يطاردون ويقتلون[١٤٧] .

كان جيش بوهيمند النورماني لايزال على الضفة الأخرى من نهر الوردار وعندما رأوا الرجال البيزنطيين وهم يلوذون بالفرار، أقدم جيش بوهيمند على السباحة ، وانتقل حشد كبير منهم خاصة المقاتلين إلى الضفة الأخرى من النهر، أما الذين لم يستطيعوا

العبور فلم يكونوا من الجند أو من المسلحين الذين يستطيعون مهاجمة العدو أو رد هجومه، بل كانوا كقطيع خامل خارت قواهم ، إما بسبب الشيخوخة أو المرض ، ولذا فقد كمن لهم البيزنطيون وواتهم الفرصة ليرووا أسلحتهم بدمائهم فسارعوا بالهجوم عليهم " كما لوكانوا ذئاباً تهاجم قطعاناً ليس معها راعيها أو كلابه"[١٤٨].

قرر بوهيمند بعد تلك الأحداث السباحة إلى ضفة النهر الأولى مع بعض رجاله، لينقذ من تبقى إلا أنه لم يستطع العبور لمتابعة البيزنطيين له، و الذين أمعنوا سيوفهم في رجاله ، فتقدم تانكريد لمساعدة خاله ،وما أن رأى البيزنطيون قدوم تانكريد حتى تملكهم الرعب وعندئذ بدأ تانكريد ورجاله بالفتك بهم ، ففروا من أمامه وهو يطاردهم فأصبح أحدهم لا يلوي إلا على النجاة بحياته، فألقوا أقواسهم وتخلصوا من سهامهم وخوذاتهم، ورموا دروعهم التي كانت من البرونز الثقيل والتي تنوعت وسائل صنعها ،ولم يكن يتردد في أذهانهم سوى إسم تانكريد الذى بدا مرعباً لهم [١٤٩]، أما من أسر من البيزنطيين فقد طرحوا أرضاً أمام بوهيمند فخاطبهم قائلاً " أيها الأشقياء مالذي حملكم على قتل جند المسيح الذين هم جندي مع أنني لم أناجز قط إمبراطوركم العداء" فردوا عليه بأنهم جند مؤجورون وماعليهم سوى تنفيذ مايطلب منهم وعند ذلك أطلق بوهيمند سراحهم دون أن يقتص منهم وذلك على حسب رواية المؤرخ المجهول[١٥٠]

انتقم تانكريد لهزيمة النورمان و تمكن هو ورجاله من استلاب ماترك البيزنطيون، ثم أمر جميع رجاله بالتقدم عبر النهر، وسار بنفسه خلفهم، ولقد أثبت أنه الأكبر في قلوب الجميع وثمن الكثيرون تلك المنجزات ، ونذروا أنفسهم ومايملكون ليكونوا تحت إمرته، وتنوعت أساليب المديح له فمنهم من يقول" من من بني البشر يمكنه أن يكون نداً لك ياتانكريد" ؟وقال البعض"بالسعادة أجدادنا بهذا الإبن العظيم فهو خير خلف لخير سلف يا لمجد ابن كالابريا يالعظمة نسل النورمان" وأشار آخرون إلى أنه وليس غيره من الممكن أن يحميهم" نحن الذين نحتمي في شجاعتك،بل إن إقدامك هو درعنا ضد من يهاجمنا ،وهوسيفنا وقوسنا ضد غزاتنا فإذا داهمنا الخطر سارعت بإبعاده عنا، وإذا

جاءنا من خلفنا طاردته بعيدا" وأنهى الجميع ذلك المدح بالدعاء والمباركة له" باركك الرب الذي جعلك عوناً لشعبه ومبارك أنت يا من حميت شعبك في الوغى بشجاعتك" كان الجميع يرددون ذلك المديح وقد عمتهم البهجة فلازموه حتى لايشعروا في غيابه بالعزلة والوحدة[١٥١].

ظل تانكريد يناضل ليجتذب شجاعة الشباب وقوتهم إليه، ولم يحصل على ذلك إلا بضرب المثل من نفسه، فنعم القدوة هو "فقد كان لوحده جمعاً"، فلم يكن بحاجة لأحد كي يخدم معه وماكان ليطلب شيئاً لنفسه، بل كان كثيراً مايقترض المال من الأغنياء لكي يسد حاجة الفقراء، فإذا سد ماقترض كان يبحث عن غيرهم " كان يتسول من البعض من أجل البعض الآخر " وكان يغدق ممايأتيه من غنائمه، فقد كان كريماً حكيماً ووفياً صادقاً" لقد ظهر كرمه للجميع كما ظهر صدقه للجميع" وذلك حسب تعبير رادولف دي كان[١٥٢].

أظهر الأمير بوهيمند النورماني مكنون حقده وكراهيته للدولة البيزنطية حكومة وشعباً وذلك عندما سمع أثناء إقترابه من القسطنطنية بوصول جيش جودفري بوايون Bouillon Godfrey إليها[١٥٣]، فأرسل إليه بوهيمند رسالة تكشف نواياه وذلك بتحذيره من الإمبراطور الكسيوس كومنين، واصفاً إياه بالشرير المخادع ،وطلب بوهيمند في رسالته من جودفري بوايون أن يغادر القسطنطنية ،وينتظره في بلاد البلغار حتى يصل إليه ليتمكنا سوياً من مجابهة الإمبراطور البيزنطي والإستيلاء على القسطنطنية[١٥٤].

لم تلق تلك الرسالة هوى في نفس جودفري فقد تمكن الإمبراطور من احتوائه، وأجبره على أداء يمين الولاء والتبعية عندما قدم عليه، وأمطره بهدايا امبراطورية عظيمة ، إلا أن جودفري لم يظهر لبوهيمند ذلك ،بل أرسل له رسالة يخبره فيها أنه لم يحمل سلاحه ويأتي من الغرب الأوروبي إلا للدفاع عن الأماكن المقدسة وهو في انتظاره مع بقية الأمراء في القسطنطنية لتحقيق ذلك المراد [١٥٥].

وصل الخبر للإمبراطور الكسيوس كومنين إمبراطور الدولة البيزنطية باقتراب جيش عدوه النورماني القديم بوهيمند من القسطنطنية عن طريق أحد جواسيسه ،الذي وضح للإمبراطور حقيقة جيش بوهيمند وابن أخته تانكريد " لقد خبرت يامولاي تلك القوات الضخمة لهذا الرجل مراراً، ولكنها الآن تفوق ماكانت عليه من قبل، تماماً كعصفور غلبه نسر فأمسك به وقد قدم ومعه إبن أخته تانكريد بجيوش جرارة، وهم محاربون شديدو البأس صعاب المراس، القليل منهم كثرة، أذعنوا لنداء البابا أوربان، فهم يقاتلون ليس طمعاً في مغنم ولاسعياً لمجد ،لم تبخل منطقة على بوهيمند بالأسلحة والجنود والرماة، جاؤا إليك بأسلحتهم ورجالهم وعددهم وعدتهم ، رجال خرجوا من كهوف الأرض وبعد الخمول والفراغ تحولوا للقتال، شجاعتهم كشجاعة الأسود كلهم مسلحون ومقاتلون ،وعلى رأسهم تانكريد ابن أخت بوهيمند و أخويه وليم وروبرت، لقد كانوا مثله في ممارسة القتال وفنون الحرب ،لذا فإنه من المستحيل سحق ذلك الجيش الذي جمعه هدف واحد أصيل" وذلك حسب رواية المؤرخ رادولف ديكان[١٥٦]، أما المؤرخة أنة كومنين فتنفي العدد الكبير لجيش بوهيمند بقولها"إن قوات بوهيمند لم تكن كبيرة العدد بل حوت عدداً ضئيلاً من الفرنجة"[١٥٧]

انزعج الإمبراطور البيزنطي من تلك الأنباء فالخطر القادم عظيم، ورأى في مشاركة بوهيمند في الحملة الصليبية الأولى تجديداً لحملة ١٠٨١م ،والتي قادها ضد الدولة البيزنطية ولذا" بدأ يفكر في شباك يصطاد بها الأسد(بوهيمند) الذي لم يجرؤ رمح صياد من الوصول إليه"، و كانت شباك الإمبراطور عبارة عن رسالة قام بإرسالها إلى بوهيمند قبل أن يصل إلى القسطنطنية ، وقد احتوت الرسالة على تمجيد وتملق ، وأشار الإمبراطور في رسالته أنه ينتظر قدوم بوهيمند بكل لهفة وأنه بمثابة ابنه " بلغني نبأ قدومك فتلقيته بقلب الأب "، وأظهر فرحه في الرسالة بأن بوهيمند حول الحرب بينه وبين الإمبراطور إلى حرب ضد المسلمين "، إنك الآن تؤدي إنجازاً يليق بخصالك بحق حين تحول الحرب إلى البرابرة(المسلمين) ولوح له بعظمته وأنه هو الذي سيحقق له أهدافه" لقد حبت عناية الله قادة الفرنج بكونت عظيم مثلك، كذلك بشرني قدومك بقرب

تحقيق رغباتي " ولم يغب عن الإمبراطور لما يعلمه من حقيقة الفرنجة وتصديقهم للرؤى والأحلام والتنجيم أن يستغل ذلك في رسالته بالقول" بأن منجمي الأتراك أنفسهم قد تنبأوا بإنتصارك(أي بوهيمند) على شعبهم"وطلب الكسيوس من بوهيمند الإسراع بالقدوم ليلقى الترحيب منه ومن أمرائه وقادته وشعبه بأسره ،مذكراً إياه أن غيره من أمراء الحملة والذين قدموا إلى القسطنطنية ،قد قدمت لهم أعظم الهدايا كما بين الإمبراطور لبوهيمند أن مقامه أعظم من من سواه ، ونظراً لما كان يعرفه من جشع بوهيمند فقد أطمعه بكميات الهدايا والملابس والذهب والخيول الأصيلة، التي سيهديها إليه وإلى جانب ذلك أخبره أن هناك وفرة من الكنوز التي أعدها له، و سيجد لدى الإمبراطور كل ما وقعت عليه عيناه وسره أن يمتلكه ، ومما لم تقع عليه عيناه من قبل ، وأنهى الإمبراطور رسالته بقوله" إنك في منزلة ابني فإذا وافيتني هنا أيها الكريم ، فستحصل على كل ما شئت ،ومتى شئت، ومهما طلبت فستناله دون أية صعوبة ، إنك ستكون ولدي بحق، وستجد ينبوع من الذهب تنهل منه ماتشاء " أما الشرط الذي وضعه الإمبراطور لبوهيمند فهو القدوم عليه في قلة من الرجال، فيما بقية الجيش يلحق به بعد أن تتم المقابلة بينهما[١٥٨].

وصلت رسالة الإمبراطور البيزنطي والتي حوت على الكثير من الأكاذيب على حد قول رادولف ديكان إلى بوهيمند، فخدع بها وبما أحتوته من كلمات معسولة، وتجرع سمها دون أن يشعر، خدعته الوعود بكنوز القسطنطنية وأسعده الحصول عليها ، دون الحاجة إلى شن الهجمات على البيزنطيين، ولذا كان مصمماً على الدخول على الإمبراطور مع قلة من رجاله مجيباً دعوته[١٥٩].

أما تانكريد فكان يروق له أن يسير ببطأ ومعه بقية الجيش ،لأن أذناه لم تكن تميل إلى المداهنة، بل كان يتوجس شراً من البيزنطيين نظراً لخداعهم المألوف في نظره، ولذا فقد رفض رسالة الإمبراطور ومافيها من تلويح بهدايا ضخمة، و اقترح على خاله تجنب لقاء الإمبراطور المخادع [١٦٠]

وقع بوهيمند في حيرة بين إغراء الإمبراطور ورفض تانكريد وسار وذهنه موزعا بين تلك الأفكار وهو على مسيرة بضعة أيام من القسطنطنية ولكنه ترك جانبا رأي تانكريد ولم يعبأ بما قال وجد السير للدخول إلى القسطنطنية ومقابلة الإمبراطورعلى رأس عشرة من رجاله[١٦١] .

خيب الإمبراطور ظن تانكريد فما أن سمع بخبر قدوم الأمير بوهيمند حتى أمر باستقباله بكل حفاوة وأنزله خارج العاصمة حتى يرتاح من وعثاء السفر ثم بعث إليه يسأله القدوم عليه للتفاوض معه على انفراد[١٦٢] ولعل ذلك لإن الإمبراطور عرف" طبيعة الأمير بوهيمند الخائنة ودسائسه منذ زمن بعيد"[١٦٣] على حد تعبير المؤرخة أنة كومنين.

دخل بوهيمند إلى القسطنطنية وكان حريصاً على عدم إثارة الريبة في نفس الإمبراطور تجاهه ،فأظهر حنكة بالغة في التعامل معه [١٦٤]،وعندما مثل في حضرة الإمبراطور و ابتسم له الكسيوس وسأله الكثير من الأسئلة والتي أجاب عنها بوهيمند بكل صراحة وقدم له أحسن ماكان لديه من معلومات وذكره الإمبراطور بحروبه على دولته ونشاطاته السابقة[١٦٥] فرد عليه بوهيمند بمكر ودبلوماسية قائلاً" لقد كنت آنذاك عدواً ولكني قدمت إليك بمطلق حريتي وإرادتي لأكون لك صديقا ياصاحب الجلالة"[١٦٦] ،وهكذا نجد أن بوهيمند حرص أثناء مناقشة الإمبراطور له أن يتظاهر بالسلوك المتزن وأن يبدي تقديراً عظيما للإمبراطور لأنه كان يعلم أن الدولة البيزنطية كانت بالغة القوة ولن تتحقق أهداف الصليبيين إلا بمساعدتها[١٦٧]، وقد تحدث الكسيوس مع بوهيمند أحاديث طويلة جانبية لعله يكتشف مشاعر الرجل الحقيقية وعندما أحس الإمبراطور أنه من الممكن استخلاص يمين الولاء والتبعية من بوهيمند بكل أريحية طلب منه الإستراحة من تعب الرحلة" إذهب واسترح وفي الغد يمكن التباحث في القضايا ذات الإهتمام المشترك"[١٦٨] .

مضى بوهيمند إلى قصر من قصور الإمبراطور للإقامة فيه حيث أعد له جناحاً خاصاً و هيئت لبوهيمند مائدة عليها جميع أنواع الأطعمة اللذيذة إلا أن بوهيمند لم يكتف

برفض تذوق ماحوته تلك المائدة بل أقدم على توزيعها بين خدمه وكأنه يحسن إليهم ويصنع معروفا معهم وهو في الحقيقة يخفي خوفه وارتيابه من الكسيوس الذي ربما وضع له السم في ذلك الطعام ولذا فليمت جميع خدمه ويعيش هو[١٦٩].

وتصف المؤرخة أنة كومنين شك وريبة بوهيمند النورماني من الإمبراطور كما تصف والدها الكسيوس بالذكاء وبقدرته الحكم على صفات أي رجل وقراءة تفكيره ومايدور في خلده وخاصة معرفته للجبلة الخبيثة لبوهيمند وأن بوهيمند ربما كان يشك من وضع السم له في الطعام فذكرت أن الطباخين وبإيحاء من الكسيوس جاءوا بكمية من لحوم الأبقار والماعز والطيور الغير مطبوخة وخاطبوه بقولهم"كما ترى لقد أعددنا الطعام حسب طرائقنا المعتادة وإن كان ذلك لا يناسبك هاهنا لحم نيء يمكن أن يطهى تبعاً للطريقة التي ترغب بها"[١٧٠]

طلب بوهيمند من طباخه الخاص أن يقوم بإعداد اللحم غير المطهو حسب الطريقة الفرنجية المعتادة وسأل خدمه في اليوم التالي عن أحوالهم فأجابوه أنهم بخير وأضافوا أنهم لم يشعروا بأي ضرر من تناول طعام الإمبراطور ولدى سماعه ذلك أباح عن مكنون تخوفاته بقوله" بالنسبة لي عندما تذكرت الحروب التي خضتها ضد الإمبراطور.....كنت أخشى أن يعمل على قتلي بدس السم في طعامي" ويوضح ذلك الموقف طبيعة بوهيمند ومقدار الريبة والشك والحذر من الكسيوس كما يوضح معاملة بوهيمند لخدمه بدون مبالاة فلو حوى طعام الكسيوس سماً فقد قدم بوهيمند لخدمه كأس المنون ولذا وصفته أنة كومنين بأنه رجل شرير لم تر في حياتها مثله وأنه كان بعيداً في أقواله وأفعاله عن جادة الصواب ولايعرف مايسمى بالتوسط والإعتدال[١٧١].

استدعى الإمبراطور بعد ذلك بوهيمند وطلب منه كما طلب من الآخرين يمين الولاء اللاتيني المعتاد، وإدراكاً من بوهيمند بحقيقة وضعه الخاص أدى القسم بكل يسر وسهولة فهو كما تراه أنة كومنين " لم يكن رجلاً نبيل المحتد كما أنه لم يكن عظيم الثراء"[١٧٢].

وتصف أنة كومنين أن والدها الكسيوس بعد أن حصل على القسم من بوهيمند أمر بفتح غرفة من غرف قصره والتي كانت تحتوي على كل ماهو غال وثمين وأطلع بوهيمند النورماني عليها وعندئذ أصيب بوهيمند بالدهشة وقال"لو أنني أمتلكت مثل هذه الثروات لتمكنت أن أغدو سيداً لكثير من البلدان" فقيل له أن جميع تلك الثروة هي خالصة له[١٧٣].

طار بوهيمند فرحاً إثر سماعه ذلك وعاد إلى مخدعه ومأأن حملت تلك الهدايا والثروات له حتى تظاهر بالغضب مطالباً الذين حملوها بإرجاعها إلى من أرسلها وما أن شرع الخدم في ذلك حتى تغير لونه وغير رأيه وطالب الخدم بإبقائها[١٧٤] وتصف أنة كومنين بوهيمند في ذلك الموقف بأنه قد فاق جميع اللاتين الذين مروا بالقسطنطنية في ذلك الحين خداعاً ووقاحة وأعظمهم في صنع المساويء والشرور وكان أقلهم ثروة وأضعفهم مورداً ، فقد خرج من بلاده وليس له أملاك و تظاهر بأن خروجه كان من أجل "القبر المقدس" لكنه في الحقيقة كان يبتغي السلطة لنفسه وكان من أجل أهدافها الإستيلاء على الإمبراطورية البيزنطية إذا تمكن من ذلك كما أراد أبوه واستهدف من قبل [١٧٥].

عرف الإمبراطور الكسيوس مكر وطباع ونفسية بوهيمند التي لاتعرف الرضى والإستقرار، لذا حاول أن يبعده عن كل شيء يساعده على تنفيذ مآربه ،ولذا عندما طلب منه بوهيمند أن يعينه" دمستق على الشرق" خشي الكسيوس أن يستخدم ذلك المنصب لإخضاع بقية الأمراء لسلطانه ويجعلهم يتبعون السياسة التي يختارها ،لذا رواغه ومناه بأماني فارغة بقوله"لم يحن الوقت بعد لمثل هذا، لكن مع نشاطك وإخلاصك لن تنتظر طويلاً حتى تنال ذلك الشرف"[١٧٦] ،و هناك رأي يذكر أن ألكسيوس على الرغم من مماطلة بوهيمند في أمر تعيينه دمستقاً إلا أنه ولكثرة إلحاحه أوعز إليه بالإنفراد بحكم مدينة أنطاكية التابعة لبيزنطة إذا تمكن الصليبيون من الإستيلاء عليها واستعادتها من الأتراك، وما ذلك إلا ليبعده عن القسطنطنية تحقيقاً لمصالح الإمبراطورية[١٧٧]، ولكن

ذلك الرأي لايتوافق مع تصميم بيزنطة في انتزاع كل الأراضي التي استولى عليها الصليبيين فيما بعد والتي كانت تابعة لها وخاصة مدينة أنطاكية.

تحدث الإمبراطور مع بوهيمند ومع بقية قادة الفرنج في القسطنطنية سنة١٠٩٧م وأبدى لهم مشاعر الود والصداقة وأقسم الصليبيون يمين الولاء والتبعية كما تعهدو ابإعادة جميع الأراضي التي فقدتها بيزنطة بعد معركة مانزكرت لألكسيوس وذلك بعد استيلائهم عليها ومنها مدينة أنطاكية[١٧٨]، وتعهد الكسيوس بتقديم المؤن للصليبيين أثناء سيرهم في آسيا الصغرى، و قدم لهم نصائح جمة بتحذيرهم من الطرق التي يستخدمها التركمان في القتال، وبعد انتهاء إجتماع القسطنطنية أبدى الكسيوس مزيد من الإهتمام بأحد القادة ويدعى ريموند سانت جيل الذي بز جميع الفرنج وفاقهم بجميع الصفات فكان بالنسبة لهم كالقمر بين النجوم[١٧٩]،وقد قابله الإمبراطور بكل تكريم وحفاوة على الرغم من أنه رفض أداء يمين الولاء الذي أقسمه غيره من القادة محتجاً بأنه لم يحمل الصليب ليدين بالولاء لسيد آخر[١٨٠]،أما بوهيمند وبعد انتهاء اللقاء فقد وعد الإمبراطور بأنه سيكون عوناً له إذا تحرك أي من القادة ضده أو إذا تقاعس عن الولاء له والقسم على ذلك[١٨١].

حاول الإمبراطور لقاء ريموند سانت جيل سراً وطلب منه أن يكون من رجاله[١٨٢] وحذره من بوهيمند وطلب منه أن يبقى يقظاً تجاه أضاليله حتى إذا ماحاول أن يخرق معاهدة القسطنطنية ،عليه تعويقه وتعطيل خططه ،فرد ريموند أن بوهيمند قد ورث المكر والخداع عن آبائه" وأنه سيكون نمطاً من المعجزات إذا أحتفظ بوهيمند بأيمانه" ووعد ريموند الإمبراطور بأنه سيبذل جهده ويفعل ما يمكنه لمراعاة أوامر الإمبراطور[١٨٣].

وصلت إلى تانكريد أخبار اجتماع الإمبراطور بالقادة وتأديتهم يمين الولاء له، وغضب الكسيوس منه ، وزيد عليها قول موجه من الإمبراطور له" يبقى استسلامك ياتانكريد وستفعل مثل بوهيمند ولكن استسلامك سيكون أدنى وأرخص"[١٨٤]

سمع تانكريد تلك الأخبار فاستبد به الحزن لما أصاب خاله وتملكه خوف على نفسه " فقد رأى انهيار أقرب حائط له بماينذر من احتراق حائطه" ، ولذا فقد بدأ يقدح زناد فكره مرات ومرات أي طريق يسلك ؟ وكيف يرسم خطته؟ كيف يرد على خديعة الإمبراطور؟ وبدأ يقارن فعنده كما يدعي التقوى ،وعند الإمبراطور الخديعة، عنده الشجاعة وهناك السلطان و الجنود و الثروات ، رجاله قليلون وعند الإمبراطور الكثرة، ماذا يفعل أيقاتل الإمبراطورالذي كان أقوى منه؟ أيخضع لمن لايرجى؟ أيعبر اليم الثائر؟ لقد رأى تانكريد قادة الصليبيين وقد أغرتهم الهدايا وخدع بوهيمند وغرر به ، أما هو فقد أصبح في مأزق كان ذهنه مشتتاً وقلبه يحترق ولسان حاله يذكر" ياللخطيئة! أين الإيمان أين التعقل والحصافة ؟الكسيوس خائن وبوهيمند غر أحمق، الكسيوس وغد يسعى إلى إذلال بوهيمند ،وبوهيمند يبحث عنه، خرج وقد سال لعابه للثروات، وغرته تسميته بالإبن فابتلعته أمعاء الأب، جاء لملئ عز المملكة فوجد ذل النير، جاء ليصبح أشهرمما كان فغدا مكرهاً لآخر ،وأصبح أدنى مماكان، جاء بلا وعي بالخدعة، واثقاً من عطايا الإمبراطور، فوقع في أسر العبودية، بعد أن ترك جيشه ومضى مع نفر قليل[١٨٥].

شعر تانكريد أن العار قد لحق بخاله وبكل من أقسم يمين الولاء والتبعية لألكسيوس، وبكل من رضي بهداياه وتملقه " ياللعار الذي لحق بأولئك الذين لايرون عارهم بأعينهم ..... سوف يندم اولئك الأمراء ولكن بعد فوات الأوان..... هل بإمكانهم أن يبروا بقسمهم بعد أن خضعوا لرغبة الآخرين هل يباع الأحرار؟ ليس حراً مخلصاً من يبع نفسه من أجل متاع[١٨٦].

شعر تانكريد أن بوهيمند وغيره من الأمراء سوف يدفعون في المستقبل ثمن مافعلوه في الحاضر، لأنهم بذلك القسم قد أخضعوا أنفسهم لرغبات الإمبراطور، المتمثلة في استخدامهم كوسيلة لإسترجاع أراضي دولته التي فقدها،هذا في الوقت الذي آمن تانكريد بأنهم أحق من الإمبراطور بتلك الأراضي التي سوف ينتزعونها من يد السلاجقة، لأنه لايجوز إعادتها إلى من فرط بها[١٨٧].

هكذا كان تانكريد يفكرفي مصير بوهيمند وبقية الأمراء، ولذا قرر التقدم إلى القسطنطنية ليس ميلاً في وعود الإمبراطور كما فعل غيره، وليس جندياً يدق طبول الحرب وينفخ بوقها ولكنه خلع ثياب الجندية، وتنكر في زي أحد الفلاحين لكي يخدع الكسيوس وعبر عن طريق البحر إلى البر الآسيوي دون أن يؤدي يمين الولاء والتبعية[١٨٨] أما خاله وبقية الأمراء فقد تم بينهم وبين الإمبراطور إتفاقية عرفت تاريخيا بإتفاقية القسطنطنية التي أظهرت بنودها حقوق كل طرف على الآخر[١٨٩].

علم الكسيوس عن طريق جواسيسه وأثناء وجود القادة الصليبيين في القسطنطنية، بأن تانكريد قد عبر سراً إلى آسيا الصغرى، ولم يحضر مع بقية القادة ذلك الإجتماع ،وأن تانكريد تجنب لقاءه، ولذا استدار نحو بوهيمند وقد أعماه الغضب وتطاير من عينيه الشرر، وهو يهدد ويتوعد، وعندئذ أقسم بوهيمند بكل الأيمان المغلظة بأن يبحر إلى تانكريد، ويعيده إلى نير الإمبراطور وإلا لما استحق البقاء أو الخروج آمناً[١٩٠].

سمع تانكريد بإشاعة مفادها أن الإمبراطور احتجز خاله بوهيمند أسيراً لديه ،ولذا أرسل رجلين من أتباعه إلى القسطنطنية، لكي يحتجوا على إحتجاز بوهيمند، وعندما وصل الرجلان إلى القسطنطنية تم استدعائهم من قبل الكسيوس، فسألهم من أين جاؤا ومن أرسلهم ؟ فأجابوا أنهم نورمان أرسلهم تانكريد لإسترجاع بوهيمند، وعندما رأى الإمبراطور رباطة جأشهم أخلى سبيلهم دونما أذى[١٩١].

وصل الرجلان إلى تانكريد وعندئذ تلقى الأنباء على حقيقتها، وأن بوهمند غير محتجز، وقد وجه طلباً إلى ابن أخته بالحضور إلى القسطنطنية ، ومقابلة الإمبراطور، وعندها لم يصدق تانكريد ماسمع ،وشعر أنه قهر بتخاذل خاله " يالها من يقظة خدعتها غفلة وخديعة" لم يستطع تانكريد إطفاء نار الغضب من صدره من جراء ذلك الخبر الغريب، وكان قلبه يئن من الأعماق فقلوب البشر قد غشاها العمى في نظره، ولن تفيد الحكمة حين يصادفها الحظ التعس ولا وقت للتباطؤ أو العناد، لقد رفض تانكريد تلويح الإمبراطور له بالهدايا، وخدع الجواسيس وتجنب الكمائن، وفعل مالم يفعله غيره ،وهاهو

يشاهد جميع أمراء الحملة وقد خضعوا للإمبراطور، وأجبرهم على أن يقسموا على أشياء أمروا بها جميعاً، وهاهو الآن يطارد من قبل الإمبراطور ، ولابد أن يذهب لمقابلته ليس ميلاً للوعود كما فعل غيره ، وإنما للإنتقام لأولئك الأمراء الذين رضخوا لنير الإمبراطور، ولابد له أن يفعل ماهو صحيح في نظره[١٩٢].

كان أكثر مااستثار تانكريد هو موقف خاله بوهيمند، الذي أجبره على الحضور ومقابلة الإمبراطور، إنه موقف يستدعي البكاء في نظره ولكن لماذا يبكي؟ كان لسان حاله يقول " أأبكي إنساناً يريد أن يسوقني عائداً بي مقيداً بقيد قد حطمته من قبل؟ولعلي استحق تقييد عنقي وفمي وعيناي حتى لا أرى مدى حقده على توفيقي وحظي، ولعل الحسد أعماه حتى أنه أراد أن يلقي بي في هذا المأزق" [١٩٣]ويواصل تانكريد غضبه على خاله بكلمات وعبارات تدل على ماكان يعتمل في صدره من أسى وحنق.

قرر تانكريد الذهاب لمقابلة الإمبراطورالكسيوس كومنين ،ليبر بقسم خاله بوهيمند وتحرير رقبته" لسوف أفي بوعدي وسأفتدي يميناً كاذباً ،سأفتدي غيري وألقي بنفسي في الخطر"، ولكنه عقد العزم على تأديب الإمبراطور الطاغية اللحوح ،الذي زرع الخلاف بينه وبين خاله بوهيمند، وحتى إذا أجبره على القسم فسيقسم يمينا باطلا" فلسوف يندم على أنه أجج الكراهية والخلاف،ولم يسع إلى الوئام والوفاق، فإنني الآن مكرها على أن أفعل ماهو باطل، فلن أبر بقسم أجبرت عليه دون إرادتي إن الوفاء بالقسم خسارة أما احتقار الإمبراطور فهو التصرف المناسب"[١٩٤].

كان قواد الحملة الصليبية الأولى قد انتقلوا إلى آسيا الصغرى لتطبيق إتفاقية القسطنطنية بحصار مدينة نيقية سنة١٧٠٩م التي كان لابد أن يبدأوا بها لتأمين خط زحفهم إلى الداخل من هجمات السلاجقة، ولضمان الإتصال بينهم وبين الإمبراطور لقرب نيقية من القسطنطنية ،وتحكمها في الطريق الرئيسي عبر آسيا الصغرى بالإضافة لأهميتها الدينية والتاريخية[١٩٥]، ويصف المؤرخ ريموند آجيل نيقية بأنها كانت مدينة شديدة الحصانة بحكم طبيعة موقعها ،فمن الغرب توجد بحيرة هائلة تسير محاذية

لأسوارها ومن الجهات الثلاثة الباقية يوجد واد وعر مليء بالصخور، هذا بالإضافة إلى إرتفاع أسوارها بحيث يصعب على آلات المنجنيق النيل منها ويصعب على الرجال شن هجوم عليها، كما أن الأبراج التي كانت فوق الأسوار جعلت من الصعب على أي شخص الإقتراب منها دون أن يصيبه خطر[١٩٦] ولذا حاصرها بوهيمند وجودفري وريموند سانت جيل وغيرهم من القادة[١٩٧].

علم تانكريد بأمر ذلك الحصار وكان على مسافة بعيدة في آسيا الصغرى، وعندئذ طار على صهوة جواده وهو يتحرق شوقاً ليجعل ذلك المكان يشهد بإحراز مجد له، كان تانكريد يطوي الأرض وهويشتعل حماسة ،وفي أثناء غيابه كان المسلمون داخل نيقية ، والصليبيون خارجها يتبادلان الكر والفر، ويتنازعان الأمل والخوف، أما عند وصوله فهو وإن كان واحداً إلا أنه يقوم مقام أمة و مقام جيش كامل، فبدأ في قتال الأتراك فألهب حماسة الصليبيين، وتملك الهلع قلوب الأتراك فهرعوا يولون وجوههم شطر الجبال مسارعين بالفرار" لقد ارتوى الرمح اللاتيني من الدم البربري (المسلمين) في تمهل وحتى الثمالة "[١٩٨] على حد تعبير رادولف دي كان

انتهى حصار نيقية بتسليمها للإمبراطور البيزنطي[١٩٩]"قام الترك بالتفاوض مع الإمبراطور من خلال وسطاء فقاموا بخبث ودهاء بإعادة المدينة للإمبراطور بعد أن كانت قد طوقت تطويقاً كاملاً"[٢٠٠] وأبحرالأمراء جميعا إلى القسطنطنية لمقابلة الإمبراطور البيزنطي، وعندئذ شدد الإمبراطور على بوهيمند بضرورة إجبار ابن أخته تانكريد على الحضور ومقابلة الإمبراطور، وعندئذ أقسم بوهيمند بالعهود الوثيقة، والأيمان الغليظة، وإيمانا منه بيمين الولاء والتبعية للإمبراطور، بأن يبحر عن طريق البسفور ويعود به[٢٠١]،

لبى تانكريد رغبة خاله في الذهاب و المثول أمام الإمبراطور، وفي طريقه إليه دارت خواطر عديدة في ذهنه فلقد كان يعلم أن الدولة البيزنطية على إتساعها الهائل إلا أنها لم تبلغ في يوم من الأيام مملكة بيت المقدس ، فالمدن الفاصلة بينهما كانت واقعة في يد

الأتراك ونظراً لأن البيزنطيين لم يستطيعوا استردادها ، فمن واجب الصليبيين أن يقوموا بهذه المهمة وهم أهل لها ، ولكن هل يعقل أن يقوم الصليبيون باستردادها من ربقة الأتراك وتقديمها للإمبراطورالبيزنطي ؟ والصحيح أنه لايمكن خدمة مصالحهم العامة ومصالح الإمبراطور معاً كل هذا كان يجول في خاطره أثناء قدومه على الإمبراطور[٢٠٢].

تقابل تانكريد مع الإمبراطور وقد وصفت أنة كومنين تانكريد بأنه" رجل له روح الإستقلالية وليس له ولاء إلا الذي في عنقه لبوهيمند وسيحتفظ به حتى مماته"[٢٠٣] وفي أثناء اللقاء تكلم تانكريد مع الإمبراطور بكل جرأة موضحاً أن خاله بوهيمند هو الذي أجبره على تلك المقابلة " لقد ساقني خالي بوهيمند لأخضع لسلطانك " كما أوضح له أن هدايا الإمبراطور ووعوده لاتمثل له شيئا كما فعل بقية القادة"لو اجتذبتني وعودك أو الرغبة في هداياك أو الأنس بجوارك كما فعل غيري لما عدمت طريقا أدخل منه إليك" وعبر له أن مقابلته لا تمثل له أي سعادة بل بالعكس فالقرب من الإمبراطور لا ينفعه البتة"لا تسعدني مقابلتك يقينا بل القرب منك لا جدوى منه" وأخبره في تلك المقابلة أنه ما جاء إليه إلا مكرها وإنه لن يوافق على مايطلبه الإمبراطور دون إرادته" جئتك قسرا وبعد أن كنت حراً بمحض إرادتي جئتك بسبب تعنتك ولابد لك أن تعلم ماينبغي لك أن تعلمه ، وهو أنه ليس بوسعي الموافقة على شيء دون إرادتي"[٢٠٤].

طلب تانكريد من الإمبراطور الإتفاق على أمر وسط بينهما ،وهو تقديم الإمبراطور المساعدة ومد يد العون لبيت المقدس ،فإذا تم ذلك سيكون الإتفاق والتعاهد بينه وبين الصليبيين قائماً ولكن سيبطل ويسقط ذلك الإتفاق إذا وقف الإمبراطور في طريق تقدم الصليبيين حسداً منه لهم ، وأخبره أنهم سيكون مخلصا له إذا لم يتخل عن إخلاصه لقادة الحملة" إذا كنت تريد السيادة فابذل جهدك في تقديم الخدمات كن على يقين من ولاء تانكريد عندما تقدم العون لجيش المسيح من عندك، إني أساعد الجميع فلن أرفض أن

أقدم عوني لك وحدك بدل الجميع، خير الكلام ماقل ودل، بقدر مايكون عطاؤك تكون تبعيتي للبيزنطيين" [٢٠٥].

خرجت تلك الكلمات من سويداء القلب مسربلة بالسداد مزدانة بالحكمة خرجت من قلب طيب هدفه المصلحة العامة، قالها في إخلاص وثبات من لايبحث عن منفعته الخاصة ومن لايتخلى عن العدل[٢٠٦] وذلك حسب رواية رادولف ديكان.

جاء رد الإمبراطور البيزنطي في صورة همهمات تظهر إرتياحاً ولاتخفي تأييداً وتصافحت يمناهما، وقد أدرك الكسيوس أن تانكريد لايقيم وزنا للمال ،ولا يمكن الإيقاع به باغراءات الذهب كالآخرين ،ومع هذا كان تانكريد يشعر بالضيق في داخله وعيناه تلمعان شراسة.[٢٠٧]

احتفل القادة مع الإمبراطور حسب العادة ،وطلب الإمبراطور من تانكريد أن يختار أي هدية ليقدمها له، ولايليق بالإمبراطور رفض مايطلب تانكريد، واعتقد الإمبراطور أنه سيطلب ذهباً وفضة وأقمشة أو مايماثل ذلك من لوازم الرحيل إلى الشرق، ولكن تانكريد والذي تشرب قلبه من إباء الملوك رفض المال والجوهر، وأبي أن يأخذ ما أخذه غيره، وإنما اختار شيئاً واحداً خاصا بالإمبراطور وهو" سرادقه "، الذي لم يشاهد مثله في إتساعه[٢٠٨] والذي كان عجيباً في صنعه وهيئته يصيب من ينظر إليه بدهشة بالغة[٢٠٩].

استحوذ سرادق الإمبراطور الفريد على ذهن تانكريد، وقدر أن ذلك السرادق هو الهدية المناسبة له، وقال " لو ملأتم هذا السرادق مالاً وأعطيتموه لي مع جميع المبالغ التي أعطيت للأمراء، عندها فقط يمكن أن أقسم يمين الولاء أنا أيضاً"[٢١٠] وعلى الرغم من عدم جدوى ذلك السرادق له، إلا أن اختياره كان له دلالة ستظهر في المستقبل ،وقد أدرك الكسيوس ذلك جيداً ،ولذا كان يغلي ضيقاً بذلك الطلب الذي رفضه ولسان حاله يقول " هل يتآمر ابن الماركيز ضدي بطلبه شعار الملك؟ المطالب العامة ليست بذات بال عنده ،ولا يعجبه إلا سرادقي فإذا منحته إياه ماذا يبقى بعد ذلك ؟ لم يبق إلا أن يطلب

تاجي، إن سرادق الملك إذا أعطي له سيهينه ويهين المقدسات الملكية بأقدام الصليبيين وجيادهم " لقد جاء متنكراً في زي فلاح وهو يقيس قيمة نفسه بمقياسه الخاص ويريد سرادق الملك لنفسه ويركز كل آماله به ويسعى لإثارة غضبي[٢١١]

رأى الإمبراطور أن ماطلبه تانكريد يدل على الكره والمكر والمخاتلة والعناد وشعر أن تانكريد يحمل في عقله وقلبه الكره للإمبراطور ولذا باغته بسؤال وجيه: انني لاأدري من أنت عدواً لي أم صديقا؟"[٢١٢]

سأل الكسيوس ذلك السؤال الممتزج بالغضب والخديعة محاولاً عدم التظاهر بالخوف من ناحية ،وكظم غيظه الشديد الذي كان يعتمل في صدره من جهة أخرى، أما تانكريد فقد تظاهر بأنه كان يمزح إذ تخير آخر الكلمات التي فاه بها الإمبراطور وغير فيها " إنك تستحق أن تكون عدواً لي لا صديقا"[٢١٣].

كانت تلك المقابلة هي الأولى والأخيرة بين تانكريد والإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، والتي وضحت مدى الكره والعداء الصريح الذي كان يكنه ذلك النورماني لبيزنطة وإمبراطورها، والذي لم يلتجأ إلى أسلوب المداهنة والمراوغة مثل خاله بوهيمند ،ولذا فقد اختلفت نتائج تلك المقابلة لكل منهما تجاه الإمبراطور فيما بعد.

فبالنسبة لبوهيمند فما أن وصل إلى بلاد الشام حتى قام بمشاركة الصليبيين في حصار أنطاكية، وكانت له اليد الطولى في الإستيلاء عليها سنة١٠٩٨م عن طريق الخيانة[٢١٤]، وكان ذلك نقطة تمثل مفترق الطرق وإماطة اللثام عن الأهداف والسياسات العدائية لبيزنطة والتي حملها بوهيمند معه أثناء مروره في القسطنطنية ،و لكنه أخفاهاعند المقابلة التي تمت بينه وبين الإمبراطور ،حتى يحصل من الإمبراطور على مايريد ،وما أن أصبح بوهيمند أميراً على أنطاكية بموافقة صليبية سنة١٠٩٨م[٢١٥]، وسلم له معظم القادة بحكم أنطاكية وسيادتها حتى قلب لألكسيس ظهر المجن ونقض عهده معه ورفض تسليم أنطاكية له [٢١٦]، مع أنها كانت تقع ضمن الأراضي التي كان لبيزنطة السيطرة

عليها وانتزعها الأتراك[٢١٧] و نصت اتفاقية القسطنطنية على تسليمها للإمبراطور، وقد توقع الكسيوس أن بوهيمند سيعيدها له ولكن شيئاً من هذا لم يحدث[٢١٨] وقد أشار المؤرخ البيزنطي زوناراس لذلك بقوله" أن بوهيمند بعد أن استولى على أنطاكية سارع إلى نقض الإتفاقيات والمعاهدات بل فكر أيضا في شن الحرب على الرومان (البيزنطيين)[٢١٩]

البيزنطيين)[٢١٩]

بات النفوذ النورماني الصليبي في إمارة أنطاكية يهدد حقوق ومصالح بيزنطة بشكل مباشر، بل تبين لألكسيوس أن بوهيمند" وغد" وكان من غير المؤكد منذ اللحظة الأولى لظهوره على مسرح التاريخ فيها أنه يحمل في نفسه أية أمنيات طيبة للإمبراطورية البيزنطية[٢٢٠] وأن سياسة بوهيمند وتانكريد تجاه بيزنطة، كانت صورة مطابقة لسياسة روبرت جويسكارد العدوانية ضد المصالح البيزنطية ،بل والكيان الإمبراطوري ذاته[٢٢١]

لم يسكت الإمبراطور البيزنطي عن تلك الإنتهاكات، وحاول التفاهم مع بوهيمند بالوسائل الدبلوماسية، فأرسل له رسالة ذكره فيها بيمين الولاء الذي أقسمه للإمبراطور في القسطنطنية" لاشك أنك عارف بالمواثيق والعهود التي أديتها للإمبراطور البيزنطي ليس من قبلك، وإنما من قبل بقية الأمراء" كما عاتبه الإمبراطور في رسالته على حنثه بذلك اليمين" أنت الآن أول من حنث بوعده واستوليت على أنطاكية .....وغيرها من الأماكن الحصينة"، وطالبه الإمبراطور في رسالته برد ما استولى عليه"إنني أطالبك أنت بالذات بالجلاء عن مدينة أنطاكية" وأنهى الإمبراطور البيزنطي رسالته بتهديد واضح" لاتحاولن إثارة العدوان والحرب مجدداً على نفسك"[٢٢٢]

وجه بوهيمند اللوم للإمبراطور البيزنطي في رسالة مماثلة موضحاً له فيها أن الإمبراطور هو المسئول عن ذلك لأنه لم يدعمهم بالأفعال، وأن الصليبيين عانوا أثناء حصار أنطاكية من المجاعة القاتلة" لقد أجبر معظمنا على أكل اللحوم المحرمة

بالشريعة" وأنهى رسالته بسؤال وجهه للإمبراطور"كيف يمكن لنا التخلي هكذا بكل سهولة عما نلناه بعرقنا وتعبنا؟"[٢٢٣]

أدرك الإمبراطور بعد أن قرأ رد بوهيمند أن بوهيمند الحالي هو بوهيمند القديم الفاسد الذي لا أمل بإصلاحه أبداً ،ولذا بدأ بإستخدام الهجوم عليه عسكرياً، فيما وحذا حذوه في ذلك الأتراك السلاجقة [٢٢٤].

أما بوهيمند فقد أدرك هو الآخر أنه ليس نداً لخصمين قويين هما الأتراك السلاجقة من جانب والبيزنطيين من جانب آخر، و أصابه الهلع من تصميم الإمبراطور على إرجاع الممتلكات البيزنطية في قليقية واللاذقية، ورأى إمارته وقد تقطعت أوصالاً أمام عينيه وربّما ستختفي عن مسرح الأحداث في المستقبل القريب[٢٢٥]، لذا قرر الرحيل من أنطاكية سنة ١١٠٤م إلى إيطاليا ليدعو إلى حملة يكون هدفها القسطنطنية وإمبراطورها[٢٢٦].

لجأ بوهيمند أثناء رحيله إلى خطة لم تكن مشرفة، لكنها كانت بارعة إلى حد كبير، فقد قام أولاً بايداع مدينة أنطاكية في يد ابن أخته تانكريد، ثم نشر إشاعة وروج لها في كل مكان مفادها بأنه قد قتل "وانتشرت الإشاعة كالنار في الهشيم وعمت جميع الأرجاء" وبعدها بارح أنطاكية في تابوت استرخي فيه، وقام مرافقيه بالنياحة عليه ، وظهرمن النعش أن من بداخل التابوت ميتاً لا محالة، وحتى يبدو الجسد في حالة من التفسخ وظهور النتن فقد قام مرافقيه بخنق حمامة ووضعها معه في التابوت ، وبعد مضي يوم أوأكثر كان نتن الجيفة واضحاً لكل إنسان يستطيع الشم ، وهكذا لم يتردد بوهيند في العيش مع طائر ميت من أجل تحقيق أهدافه في إسقاط الدولة البيزنطية[٢٢٧]، وتعلق المؤرخة أنة كومنين على تلك الحادثة بقولها" ما من بربري أو إغريقي اخترع من قبل مثل تلك الخطة ضد أعدائه ولاحتى في الخيال"[٢٢٨]

وما أن وصل بوهيمند إلى كورفو، حتى أرسل من هناك رسالة إلى الكسيوس كومنين أخبره فيه أنه ماض في الإنتقام منه، وأن جميع الكوارث التي حلت به كان سببها الإمبراطور "إن مالحقني من شرور ونزل بي من نوازل كان بفعلك وفعل جيشك" وسخر من الإمبراطور لأنه لم يكتشف خطته ،ولم يستطع القبض عليه" أريدك أن تعرف أن من كان ميتاً قدعاد إلى الحياة وها أنا قد نجوت من قبضتك "، وأوضح له في نفس الرسالة إنه سيتآمر لوضع نهاية شريرة للإمبراطور وسيثير الفوضى في العالم البيزنطي" سأجعل الدم يسيل في بلدانك حتى أركز رمحي في القسطنطنية ذاتها"[٢٢٩].

و بعد أن وصل بوهيمند إلى إيطاليا لعب دوراً في نشر القصة التي أشاعت أن البيزطيين قد غدروا بالصليبيين ،وأن ألكسيوس هو المسئول عن جميع المتاعب التي حلت بالصليبيين كما أنه يعود إليه عدم استقرار الإمارات الصليبية[٢٣٠] واقترح على البابا غزو القسطنطنية ، أما هو فقد جمع جيشا ضخماً، واتجه لمحاربة الكسيوس في البلقان معيداً بذلك إلى الأذهان أحداث الحرب بين النورمان والبيزنطيين سنة١٠٨١م، و قام بمحاصرة دورازو التي استولى عليها النورمان قبل الحملة الصليبية، واستعادها الكسيوس منهم كما سبقت الإشارة.

تصدى الكسيوس لخصمه النورماني بوهيمند بالقوة المسلحة في دورازو سنة١١٠٧م، وعرى أهدافه عن ردائها الزائف، بعد أن ألبس صراعه معه ثوباً آخر غير ثياب الحرب الدينية ،وخرج عن ذلك إلى نزاع بين البيزنطيين والنورمان، أو بمعنى آخر حلقة جديدة في الصراع القديم بين البيزنطيين والنورمان منذ عهد جويسكارد[٢٣١]

حاصر الإمبراطور الكسيوس بوهيمند براً وقطع الإتصال بينه وبين إيطاليا، واستخدم أسلوب الحيلة في حربه، مما أدى إلى تحطيم الروح المعنوية لدى جند بوهيمند فهزم، وعندئذ أجبر بوهيمند على طلب الصلح مع الكسيوس وتم توقيع إتفاقية بين الطرفين سنة١١٠٨م، عرفت بإتفاقية ديفولDevol [٢٣٢]وبمقتضى تلك المعاهدة أعلن بوهيمند عن ندمه وتوبته لحنثه لليمين التى أداها لألكسيوس سنة ١٠٩٧م، كما أقسم أن

يكون تابعاً وموالياً للإمبراطور وسلالته، وأن يحكم أنطاكية في ظل التبعية للإمبراطور الكسيوس، يضاف إلى ذلك تعهد بوهيمند بشن الحرب على ابن أخته تانكريد إذا لم يلتزم ببنود الإتفاقية، أو في حالة رفضه لتسليم الكسيوس المدن التي استولى عليها ،وكانت تقع ضمن أملاك الإمبراطورية البيزنطة، وقد أشار المؤرخ ابن القلانسي إلى تلك الإتفاقية بقوله"أصلح بيمند أمره مع الملك ودخل عليه ووطئ بساطه ومن معه"[٢٣٣]، وقد غادر بوهيمند ديفول بعد تلك المعاهدة إلى تارنتو سنة ١١٠٨م بعد أن أصبح تابعاً ذليلاً لألكسيوس[٢٣٤]

حطمت تلك الإتفاقية بوهيمند النورماني، فلم يجرؤ على العودة مرة أخرى للشرق وتوفى في أبوليا سنة ١١١١م/٥٠٤هـ كأنه صليبي مغمور[٢٣٥].

أما تانكريد والذي تولى أمر أنطاكية أثناء رحيل خاله للغرب، فقد كان أشد عداوة من خاله في سياسته مع الإمبراطور الكسيوس، وقد تجلى ذلك أثناء المقابلة التي تمت بينهما سنة ١٠٩٧م والتي ترجمها تانكريد قبل وبعد رحيل خاله إلى الغرب، فحاول أن يرسخ وجوده في إمارة أنطاكية وفرض نفسه كواقع أمام الإمبراطور البيزنطي ولذا لقب نفسه في الوثائق الرسمية تانكريد أمير ودوق أنطاكيه [٢٣٦]و تمكن من الإستيلاء على ماتبقى للبيزنطيين في أنطاكية بضم مدينة اللاذقية إليه سنة ١١٠٦م/٥٠٠هـ[٢٣٧]، وعليه فقد فقدت بيزنطة قاعدة كانت تهدد أنطاكية وتحول بين تانكريد وبين التوسع في إقليم قليقية[٢٣٨] كذلك فقد تمكن تانكريد في سنة ١١٠٩م/٥٠٣هـ من الإستيلاء على أذنة وطرسوس وقد أشار إلى ذلك ابن القلانسي بقوله" خرج طنكري من أنطاكية في حشده ولفيفه المخذول إلى الثغور الشامية فملك طرسوس وما والاها ، وأخرج ملك الروم منها"[٢٣٩]، هذا بالإضافة إلى أن تانكريد لم يلتزم ببنود إتفاقية ديفول ولابحدود التبعية التي أقر بها خاله بوهيمند وأعتبر نصر الإمبراطور فيها نصراً زائفاً ولذا يمكن القول أن تانكريد تمكن من تحدي الإمبراطور تحدياً صارخاً، وقد ساعده في ذلك أن ظروف الكسيوس لم تسمح له أن يتخذ طريقاً إلى أنطاكية لتأديب أميرها النورماني الخارج عن

طاعة بيزنطة[٢٤٠]،وهنا يمكننا إدراك مغزى طلب تانكريد سنة ١٠٩٧م لسرادق الإمبراطور والذي أدرك ذلك المغزى الكسيوس نفسه فقد تمكن تانكريد من إزالة شرعية بيزنطة على كل مدينة تم الأستيلاء عليها في بلاد الشام وقليقية ولو أعطى الكسيوس تانكريد سرادقه لربما تمكن تانكريد من تحقيق حلم جده روبرت جويسكارد في إعتلاء العرش البيزنطي .

توفى تانكريد في ديسمبر١١١٢م/٥٠٦هـ وهو لم يبلغ السادسة والثلاثين من العمر[٢٤١] وقد أشار المؤرخ ابن القلانسي إلى ذلك بقوله" خرج طنكري في أول جمادي الآخرة إلى ناحية كربسيل[٢٤٢] مقدم الأرمن وكان قد تقدم طمعاً في تملك بلاده فعرض له مرض في طريقه أوجب عودته إلى أنطاكية فاشتد به المرض فهلك في يوم الأربعاء الثامن من جمادي الآخرة"[٢٤٣].

فقد الصليبيون بوفاة تانكريد شخصية طالما وقفت في وجه الدولة البيزنطية على الرغم من أنه " كان فقيراً في ثروته،قليلاً في مؤنه"[٢٤٤] على حد تعبير رادولف دي كان ،وكان أصغر قائد صليبي[٢٤٥] إلا أنه - وبفضل جهوده وصفاته والتي تميزت بالشجاعة إلى حد التهور وصلابته في المواقف التي كانت في نظر البعض سيئة- تمكن من المحافظة على إمارة أنطاكية من السقوط في يد الدولة البيزنطية حتى اعتبره البعض أنه المؤسس الحقيقي لها لإهتمامه بها حتى وفاته سنة١١١٢م/٥٠٦هـ[٢٤٦].

أوصى تانكريد قبل وفاته أن يخلفه على إمارة أنطاكية ابن أخته روجر دي سالرنو Roger of Salerno بعد أن أخذ عليه عهداً بأن يسلم أنطاكية لوريثها الشرعي بوهيمند ابن بوهيمند النورماني بعد أن يبلغ سن الرشد[٢٤٧].

وهكذا لم ينه موت تانكريد المشكلة النورمانية في السياسة البيزنطية فقد سار خليفته روجر على نفس سياسة تانكريد في عدائه للبيزنطيين ورفض الإلتزام بإتفاقية ديفول ، أما الإمبراطور البيزنطي فقد أدرك أنه لن يستطيع استعادة ماله في أنطاكية واللاذقية

وإقليم قليقية بالقوة[٢٤٨] وذلك بسبب حملات السلاجقة والتي هدفت إلى تقويض أركان الدولة البيزنطية وتجريدها مما بقى لها في آسيا الصغرى[٢٤٩] لذلك انصرف الإمبراطور إلى القيام بحملات شبه سنوية ضد هم تكللت معظمها بالنجاح[٢٥٠].

فكر الكسيوس كومنين في استخدام رباط المصاهرة كوسيلة لإسترجاع أملاكه في الشام في عهد روجر الأنطاكي إلا أن الموت عاجله في سنة ١١١٨م/٥١١هـ[٢٥١] قبل أن تتحقق أمنيته ويتغلب على النورمان بطردهم من أنطاكية واللاذقية ومدن إقليم قليقية الهامة ، لتستمر تلك المشكلة أجيالاً عدة سواء لخلفاء الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين أولخلفاء البيت النورماني في الشرق[٢٥٢].

الخاتمة

- اختلف بوهيمند عن ابن أخته تانكريد في كثير من الصفات، فبينما كان الأول دبلوماسياً واسع الحيلة متملقاً، نجد أن الثاني كان قائداً شجاعاً لايعرف المداهنة.
- لم يجابه بوهيمند النورماني الإمبراطور البيزنطي الكسيوس بالعداء أثناء المقابلة التي تمت بينهما في القسطنطنية، بل أظهر له كل فروض الطاعة ليحقق أحلامه في كل مايريد، وعلى النقيض منه كان ابن أخته تانكريد الذي رفض قسم الولاء للإمبراطور البيزنطي، ولكنه أدى ذلك القسم قسراً لكي لايحرج خاله بوهيمند ولسان حاله يقول" مرغماً أخاك لابطل".
- رفض تانكريد كل الهدايا التي قدمها له الإمبراطور البيزنطي وكان مستعلياً عليها، وماطلبه هو سرادق الإمبراطور للإيحاء بأنه قادر على إسقاط إمبراطورية الكسيوس ودولته، وعلى العكس كان خاله الذي سال لعابه للهدايا الإمبراطورية.
- تمكن الإمبراطورمن دحر بوهيمند في ديفول، وأجبره على أن يكون تابعاً ذليلاً فأنهى حياته في الغرب مهزوماً بعيداً عن إمارة أنطاكية التي صنع المستحيل من أجلها، أما تانكريد فلم يكن خصماً سهلاً للإمبراطور فقد ضرب ببنود إتفاقية ديفول عرض الحائط واعتبرها حبر على ورق

وألحق مصيرها بمصير معاهدة القسطنطنية ورفض أن يكون تابعاً لألكسيوس كومنين بل رسم سياسة كان هدفها إنشاء إمارة قوية لنفسه.

- كان بوهيمند وتانكريد يرون في الحملة الصليبية عملاً موجهاً ضد البيزنطيين أكثر منها حرب ضد المسلمين.
- غدت أعمال تانكريد هي الركيزة التي استند عليها جميع خلفائه حتى صار تاريخ إمارة أنطاكية الطويل ثمرة من ثمار نشاطه وهمته العالية.

الحواشي

[1]- هناك تعريف تفصيلي عن جويسكارد في الصفحات التالية.
[2]-عامرة عبد اللطيف:الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون،مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م،ص٤٢.
[3]-نفس المرجع ونفس الصفحة.
[4]- نفس المرجع ،ص٥٨.
[5] -Radoulf of cean,op.cit, Gesta Tancred in Expedition Herosoly mitanae in (R.H.c.)Occ,4,1866,p605.
[6] -Ibid
[7] -Sap,John,W.,The Castle, The Church and The Borough,Oxford,Black Wel,2006,191.,ISBN,p173.
محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت ، دار النهضة العربية١٩٨٢م ،ص٢٧٤.وسالرنو : إمارة لمبادرية تمتعت بالاستقلال وكان سكانها من اللمبارديين والعنصر اللاتيني من أهل البلاد الأصليين(عادل زيتون: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية،دمشق،دار الكتاب١٩٩٠-١٩٩١،ص١٥٧).
[8]-Loud,G.A.,Coinage,Wealth and Plunder in the age of Robert Guiscard,in English Historical Review,Oxford University,Press 1999,P817.
[9]- رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة السيد الباز العريني،بيروت-لبنان،دار الثقافة١٩٩٧م/١٤١٧هـ ،ج١،ص٨٨-٨٩؛
Setton,K.M., A history The Crusades The University of Wisconsin press Madison ,Milwaukee, and London,1969,v,I,p187.
[10]- نورمان كانتور:التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم،دار المعارف ١٩٨٦م،ط٢،ق٢ .
[11] -Haskins,C., The Normans in European History,1951,p200;Sap,op.cit.,p173.
[12] -Hussey, The Later Macedonian,The Comneni and Angli (C.M.H.)V,IV,p202;Loud,op.cit.,p817;Hamilton,L.,L,Memory,Symbol, and Arson Was Rome"Sached"hn1084,Speculum2003,v,78 ,p378;Sap,op.cit.,p173;
سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي،القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٩، ١٩٣٣م ،ج١،ص٣٢٧-٣٢٨.ونابولي : مدينة على الساحل غرب إيطاليا شمالي سالرنو وقد تمتعت بالحكم الذاتي على الرغم من تبعيتها الإسمية للإمبراطورية البيزنطية(عادل زيتون: المرجع السابق،ص١٥٧).
[13] -Loud,op.cit.,p817.
[14] -Hamiiton,op.cit.,p378;Sap,op.cit.,p173.
[15] -Loud,op.cit.,p821.
[16] -Hamilton,op.cit.,p378.
[17] -Cavendish,R,The Ba le Of Civitate,,History to day,Jun 2003,Vol.53 Issue6,p53,1/3p.
[18] - Hussey, Op.Cit.,p197 ;
رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص٨٩.
[19] -Loud,op.cit.,p817.
هنري الثالث: اشتهر بكفايته وكان مدركاًلأهمية الكنيسة في الكيان السياسي لمملكته ولكن حكمه ولد مصادمات خطيرة في سياسة الإمبراطورية (السيد الباز العريني: تاريخ اوروبا العصور الوسطى،بيروت- لبنان، دار النهضة العربية ١٩٦٨م،ص٤٤٠-٤٤١).
[20] -Cavendish,Op.Cit.,p53.

[٢١]- رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص٨٩-٩٠.

[22] -Cavendish,OpCit.,p53;Hamilton,L.Lop.cit.,p378;Howe,J.,Amatus of Montecassino:the history of the Normans,in Oxford Journals,Humanities,English Historical Review,v cxxi,p268.

[٢٣]- رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص٨٩-٩٠.

[24] -Howe,op.cit.,p268

[٢٥]- هسي: العالم البيزنطي،ص١٧٧.

[٢٦]- سعيد عاشور: اوروبا العصور الوسطى،ج١،ص٣٢٨.

[٢٧]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،بيروت١٩٨٢م/١٤٠٣هـ،ص٨١٣؛

Hamilton,op.cit.,p378.

Cavendish,Op.Cit.,p53.

[28]-Skinner,P.,The Age of Robert Guiscard:Southern Italy and the Norman Conquest,in English Historical review,2001,V,116,p671.

للمزيد من التفاصيل عن تلك الإنتصارات انظر السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية،ص٨١٦-٨١٧ وروجر هو أصغر ابناء تانكريد هوتفيل وقد منحه روبرت جويسكارد نصف كالابريا وفي المقابل وقف روجر إلى جانبه في الإستيلاء على باري(السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧١-٨٧٣).

[29] -Cavendish,Op.Cit.,p53,Loud,op.cit.,p816

[٣٠]- عادل زيتون: المرجع السابق،ص١٦٢. .

ونيقولا الثاني شخصية تم في عهدها إنقاذ البابوية عندما تحررت من نفوذ نبلاء روما وسيطرة الأباطرة جميعاً بسبب المجمع الديني الذي عقده في روما سنة١٠٥٩م/٤٥١هـ .(سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى،ج١،ص٣٤٥). وللمزيد من التفاصيل حول معاهدة امالفي انظر السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ،ص٨١٨-٨٢٠؛عاشور: اوروبا العصور الوسطى،ج١،ص٣٢٩-٣٣١.

[31] -Hussey,Op.Cit.,p208;Skinner,op.cit.,p671.

[٣٢]- رانسيمان:المرجع السابق،ج١،ص٩٠.

[33] - Hussey ,op.cit.,p208;

رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص٩٠.

[٣٤]- رومانوس الرابع خلف قسطنطين العاشر دوقاس على العرش البيزنطي بعد أن تزوج من أرملة قسطنطين وكانت تدعى ايدوسيا وكان رومانوس من سادة قبادوقيا واشتهر بأنه قائد باسل مجرب امتاز بالتفوق والكفاية في الحرب ضد البشناق فاستحق بجدارة ماحازه من شهرة كبيرة في الحزب العسكري(رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص٩٦؛ السيد الباز العريني: الدولةالبيزنطية،ص٨٥٠-٨٥١؛ أومان: الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه ، القاهرة ١٩٥٣م،ص١٩٧).

[٣٥]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧٢.

[٣٦]- عادل زيتون: المرجع السابق،ص١٦٣.

[37] -Se on,op.cit.,v,lp187;

السيدالباز العريني:الدولةالبيزنطية،ص٨٧٧؛حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،القاهرة١٩٨٣م/١٤٠٣هـ،ص١٩٥.

[38] -Haskin,Op.Cit.,p202;J.M.Husseyop.cit.,p208;Se on,op.cit.,v,l,p187;

حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى،دار الفكر العربي١٩٥٨م/١٣٧٨هـ،ص٤٣-٤٧ عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية، لمكتبة العصرية،صيدا- بيروت١٩٨٤م/١٤٠٥هـ،ص١٤٣؛ اي قبل معركة مانزيكرت بأربعة أشهر(محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،بيروت١٩٨١م/١٤٠٢هـ،ص٢٤٩.

[٣٩]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧٣-٨٧٤.

[40] -Se on,op.cit.,v,l,p187;

السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧٤؛ حسنين ربيع:المرجع السابق،ص١٩٤؛ عبد القادر اليوسف: المرجع السابق،ص١٤٤؛ج.م.هسي: العالم البيزنطي،ترجمة رأفت عبد الحميد،مؤسسة عين للدراست والبحوث الإنسانية والإجتماعية١٩٩٧م/١٤١٨هـ،ص١٤٩؛ أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وصلاتهم بالغرب،بيروت١٩٥٦م ج٢،ص١٠٩.

[٤١]-هسي: العالم البيزنطي،ص١٧٥.

[٤٢]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧٤؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ص٢٧٦.

[٤٣]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧٤؛ حسنين ربيع: المرجع السابق،ص١٩٤؛عادل زيتون: المرجع السابق،ص١٦٣.

[٤٤]- ألب ارسلان: هو محمد بن جغري بك بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بعضد الدولة وهو ابن أخ السلطان السلجوقي طغرل بك حكم بعد عمه لأن عمه لم ينجب ذرية وظل في الحكم تسعة سنوات واشهر وتوفى سنة٤٦٥هـ/١٠٧٢م(ابن الأثير: الكامل،ج٨، بيروت،دار الفكر١٣٩٨م/١٩٧٨هـ ص٩٥-١١٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة١٩٧٢م،ج٥،ص٩٢-٩٣؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ج٢٦،ص٣٠٣).

[45] -Se on,op.cit.,v,l,p193;Chalandon ,La Campagne de Manzikert(Byzan on 1934),p639-640; Vasiliev, History of the Byzan ne Empire,(1980)v,1,p.356.

للمزيد من التفاصيل عن معركة مانزكرت انظر: ابن الأثير: الكامل،ج٨،ص٣٨٩؛ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار،دمشق- القاهرة،دار الكتاب العربي١٤١٨هـ/١٩٩٧م،ج١،ص٢٦٨؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر،بيروت- لبنان، مؤسسة جمال للطباعة والنشر،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،ج٥،ص٣-٤؛ابن العبري: تاريخ مختصر الدول،ط١،ص١٨٥؛ ابن العبري: تاريخ الزمان،، ترجمة الأب إسحاق ارملة، بيروت١٩٨٦،ص١١١.

[46] -Se on,op.cit.,vl,p187;Loud,op.cit.,p824.

ميخائيل السابع: كان شاباً مولعاً بالقراءة تلقى أرفع العلوم الأدبية ودرس الشعر والخطابة والفلسفةإلا انه ساد في عهده الكثير من الفتن والإضطرابات ويقال أنه لم يكن جديراً بمنصب الحكم (هسي : العالم البيزنطي ،ص١٧٤؛أسد رستم: المرجع السابق،ج٢،ص١١٢؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٣٣).

[٤٧]- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية١٩٩٦م/١٤١٧هـ،ط٦،ج١،ص٧١؛ إسمت غنيم: معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسيللوس،مطبعة جامعة الإسكندرية١٩٨١م/١٤٠٢هـ ص٣٣-٣٤؛ حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى،ص٣٤.

[٤٨]- رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص١٠٠؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ص٢٤٩.

[٤٩]- رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص١٠٣.

[٥٠]- عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق، ص٤٠.

وللمزيد من التفاصيل عن رسل باليل انظر رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص١٠٤-١٠٥.

[٥١]-عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٤٠.

[٥٢]- نفس المرجع ونفس الصفحة.

[٥٣]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية،ص٨٧٧.

[54] - Hussey,Op.Cit.,p212-213;Se on,op.cit.,v,l,p187.

[55] -Setton,op.cit.,v,l,p188;

السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ،ص٨٧٨؛ حسنين ربيع: المرجع السابق،ض١٩٥؛ عادل زيتون: المرجع السابق،ص١٦٣.

[58] -Se on,op.cit.,v,l,p188.

[٥٧]- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية:،ص٨٧٨.

وجريجوري السابع: هو هيلد براند احد مواطني روما انخرط في خدمة البابوية وهو على أعتاب الرجولة، وتم انتخابه بابا باسم جريجوري السابع في ٢٢ إبريل سنة١٠٧٣م، اتصف بالذكاء والقدرة الفائقة في التأثير على سامعيه وهو الذي طبق نظرية السمو البابوي، وكان عليما بالقانون الكنسي، مات منفيا في جنوب إيطاليا بعد أن طرده الجيش الألماني من روما(نورمان كانتور: المرجع السابق،ص٣٥١-٣٥٢؛ السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا العصور الوسطى،ص453 سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى،ج١،ص٣٤٥-٣٤٩؛ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة ،القاهرة،دار المعارف،١٩٧٠م،ص٤٢).

أما التقليد العلماني: فهو قيام الحكام العلمانيين من اباطرة وملوك بتقليد رجال الدين مهامهم ومناصبهم الدينية وهو الصراع الذي دار بين البابا جريجوري السابع والامبراطور هنري الرابع والذي هدد فيه البابا بخلع الإمبراطور إذا لم يمتثل للمرسوم الذي أصدره وللمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر: وليم الصوري: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تحقيق سهيل زكار،دمشق،دار الفكر١٤١٠هـ/١٩٩٠م،ط١،ج١، ص١٥٦-١٦٧؛ أسحاق عبيد : المرجع السابق،ص٤٥-٤٧؛ سعيد عاشور: اوروبا العصور الوسطى،ج١،ص٣٥٠-٣٦٨؛ السيد الباز العريني:تاريخ أوروبا ،ص٤٥٦؛ حسنين ربيع: المرجع السابق:ص١٩٦-١٩٧؛نورمان كانتور: المرجع السابق،ص٣٦١.

[٥٨]-رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص١٠٧.

ونقفور بوتنايتس: كان من القادة الطموحين في آسيا الصغرى إلا أنه لم يترك أثراً في التاريخ البيزنطي، إذ أقعده المرض عن مواجهة مشاكل الدولة الداخلية والخارجية حتى أزيح عن الحكم وسلك طريق الرهبنة وعاش بقية عمره راهباً(محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية،ص٢٥١؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية١٩٩٤م/١٤١٥هـ،ص٣١٩.

[59] -Cavendish,Op.Cit.,p53.

هسي: العالم البيزنطي،ص١٧٧.

[60] -Chalandon,Regne d'Alexis Comnene,Paris1900,p49-50.

[٦١]-هسي: المرجع السابق،ص١٥٠؛ عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧،ص١٨٥؛ محمود السيد: المرجع السابق،ص١٥٦.

[٦٢]-إسمت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية١٩٨٧م/١٤٠٨هـ،ص١٤١.

[٦٣]- عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٣٨-٣٩؛ رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص٩٨.

[٦٤] عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٣٩-٤١.

[65] -Diehl,Histoire de L'Empoire Byzintin,1969,p.140,Chalandon, op.Cit,p70-72.

[66] -Anna Comnena,The Alexiad (tran,from theGreek by E.R.A. Sewter) great Britain1969 ,p252.

[٦٧]- جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية١٩٨٤م ص٢٠٨.

[٦٨]- جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية،ص٢٠٨؛إسمت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ص١٤٢.

[69] - Hussey,Op.Cit.,p213.

[70] -Haskin,C.,op.cit.,p202-203.

[71] -Hussey,Op.Cit.,p213.

وهنري الرابع: هو ابن الإمبراطور هنري الثالث تولى الإمبراطورية وهو في سن الخامسة عشر من عمره سنة١٠٦٥م إلا أنه لم يباشر الحكم بمفرده إلا سنة ١٠٧٢م(سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى،ج١،ص٣٥٠-٣٥١).

[٧٢]- حمل السفراء لهنري ١٤٤٠٠٠ قطعة من الذهب ، ١٠٠ قطعة من الحرير، ووعد الكسيوس بدفع ٢١٦٠٠٠ قطعة ذهبية أخرى بعد قيام هنري بحملة ضد النورمان، كما ناقش أعضاء السفارة عرض زواج بين الإمبراطوريتين(إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص٥٢).

[٧٣]- جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية،ص٢٠٨.

[٧٤]- عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية،الإسكندرية،الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٧م،ص١٨٥،ومن بنود ذلك التحالف أن يكون للبنادقة حق الإتجار في المدن البيزنطية بما في ذلك القسطنطنية وأن يتمتع البنادقة بحصانة قوية بمعنى أن يكون لهم جالية ومحاكم خاصةفي أحياء معينة في المدن البيزنطية وليس لبيزنطة عليهم من سلطان(جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٣).

[75]-Chalandon, Regne d'Alexis,p70;Vryonis,S, Byzantium and Europ,London1967,p141-142.

تأثرت البندقية بظهور النورمان في تلك المنطقة فرحبت بتلك المعاهدة لأنها رأت في هجوم النورمان على الليريا ودورازو تهديدا لمصالحها في البحر الإدرياتيك ولذا فقد جمعها مع بيزنطة هدف موحد وهو القضاء على النورمان العدو المشترك لكليهما(اسحاق عبيد: روما وبيزنطة،ص٥٢؛ جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ،ص٢٥٢-٢٥٣).

[76] -Hussey,Op.Cit.,p213;Vasiliev,op.cit.,v,2,p,381.

[٧٧]-إسمت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ص١٤٢.

وسليمان بن قتلمش: هو سلطان سلاجقة الروم اتخذ من مدينة نيقية عاصمة له(سعيد عاشور: الحركة الصليبية،ج١،ص٧٤).

[٧٨] جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية،ص٢٠٩.

وهناك رأي يشير إلى أن الكسيوس كان في مقدوره أن يواجه النورمان بجيوش كثيرة العدد ومدربة على القتال ولاينقصها الشجاعة والإقدام وكان له اسطول قوي في مقدوره أن يقف في وجه عدوه غير أن الإمبراطور لم يكن يثق في أسطوله ولذا رأى من الضرورة البحث له عن حلفاء(ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،ترجمة أحمد رضا، القاهرة١٩٨٥،ج١، ص١٣١).

[79] Anna Comnena,Op.Cit.,p135-136.

[80] -Loud,op.cit.,p827.

[٨١]- عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٤٢.

[٨٢]- إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص٥٢.

[٨٣]-ف. هايد : المرجع السابق،ص١٣٣؛

Howe,op.cit.,p268.

٨٤-إسحاق عبيد: روما وبيزنطة،ص٥٣.

85 -Anna Comnena,Op.Cit.p143,J.M.Hussey,Op.Cit.,p213.

٨٦- عبد الغني عبد العاطي: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين،دار المعارف١٩٨٣م/١٤٠٤هـ،ص١٢٦-١٢٩.

87 -Hussey,Op.Cit.,p213.

88 -Anna Comnena,Op.Cit.p160-162;se on,op.cit.,v,l,p214.

89 -Yewdale,R.B.,Bohemond I,Prince Of An och (Princeton)p24.

90 - Hussey,Op.Cit.,p213.

91 - Anna Comnena,op.cit.,p162-167.

92 -Se on,op.cit.,v,l,p214.

93 -Anna Comnen,op.cit.,p188-189.

94 -Chalandon,Regne d'Alexis,p70-71;Se on,op.cit.,v,l,p214;Loud,op.cit.,p824.

هسي: العالم البيزنطي،ص١٧٨؛عمر كمال توفيق،تاريخ الدولة البيزنطية،ص١٨٥.

95 - Anna Comnen,Op.Cit.,p195.

وجزيرة كافلونا : هي جزيرة من الجزر الأيونية على البحر الإدرياتيك(Vasilive,Op.Cit.,p381)

٩٦- هسي: العالم البيزنطي،ص١٧٨.

97 -Yewdale,op.cit.,p25.

٩٨- اسحاق عبيد: روما وبيزنطة،ص٥٧.

٩٩- إسحاق عبيد: روما وبيزنطة، ص٥٦-٥٧.

١٠٠- نفس المرجع ونفس الصفحة.

101 -Anna Comnena,Op.Cit.,p192-193,

هسي: العالم البيزنطي،ص ١٧٨؛عادل زيتون:ا لمرجع السابق،ص١٦٩.

١٠٢-سعيد عاشور: الحركة الصليبية،ج١،ص٩٩؛عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٤٤؛

Vasilive,Op.Cit.,p381.

١٠٣-سعيد عاشور: الحركة الصليبية،ج١،ص١٠٤.

وأوربان الثاني: هو أودي دي لاجيري ولد في شاتيون سيرمان سنة١٠٤٢م من أسرة نبيلة وتولى كرسي البابوية بعد البابا جريجوري السابع، وكان شديد الدماثة في خلقه قوي الحجة والإقناع(رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص١٥١-١٥٣).

١٠٤- ج.م.هسي: المرجع السابق، ص١٥٣؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية،ج١،ص١٠٥؛جوزيف نسيم: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى،القاهرة،دار المعارف،١٩٦٣م،ج١،ص٧١؛ إسمت غنيم: تاريخ الحروب الصليبية،الإسكندرية١٩٩٦م/١٤١٧هـ ،ص١٦-١٧.

105 -Se on,op.cit.,v,l,p217;

قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، القاهرة،دار المعارف١٩٨٣م،ط١ص١٠٩.

١٠٦- هي حروب زعزعت أمن الغرب الأوروبي ولم تستطع البابوية التغلب عليها ولو بشكل جزئي إلا عن طريق مايسمى بهدنة الله Turga Dei وللمزيد من التفاصيل حول ذلك انظر ستيفن رانسيمان: المرجع السابق،ج١،ص١٣٠-١٣١؛ إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص٨٣؛كارين أرمسترونغ: الحرب المقدسة و الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ترجمة: سامي كعكي،لبنان٢٠٠٤م،ص٩٦-٩٧.

١٠٧- نورمان كانتور: المرجع السابق،ص٣٦٩.

١٠٨- فولشر اوف شارتر: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة أميرة مصطفى يوسف، القاهرة،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص٧؛وليم الصوري: المصدر السابق،ج١،ص١٦٨؛

Se on,op.cit.,v,l,p220;Chalandon,Histoire de la Premiere Croisades,Paris1925,p39;Michaud,Histoir des Croisade,I,Paris 1917,p92-93.

وكليرمونت: مدينة تقع في وسط فرنسا وتنقسم الى قسمين احدهما جبلي مرتفع والثاني سهل منبسط وتعرف حاليا باسم كليرمون فران(جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين،ج١،حاشية٥٨).

١٠٩- نورمان كانتور: المرجع السابق،ص٣٩٦.

١١٠- فولشر اوف شارتر: المصدر السابق،ص١٢-١٣؛ابن العبري: تاريخ الزمان:ص١٢٣؛ ميخائيل السوري:تاريخ ميخائيل السوري، الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار،دمشق،دار الفكر١٩٩٥م/١٤١٦هـ،ج٥،ص٨٨؛

Se on,op.cit., v,l,p222.

وهذه اتهامات لايعتد بها فقد حظى المسيحيين في ظل الدولة الاسلامية بالعدل والتسامح والحرية الدينية .

[١١١]- فولشر أوف شارتر: المصدر السابق،ص١٣.

[١١٢]- نفس المصدر ونفس الصفحة.

[١١٣]- نورمان كانتور: المرجع السابق،ص٣٩٦.

[114] -Anna Comnena,Op.Cit.,p249.

[115] - Zonaras,Epitomae Historiatum in(C.S.H.B) Bonne 1841-1897,op.cit,p724.

[116] -Albert of Aix, Liber Christanae Exbeditions Pro Ereptione Emum Datione Et Res u one,Sanctae Hierosoly mitanae Ecclesiae In (R.H.C.) H.Occ,4 Paris1879,p289 ,

[117] -Sap,op.cit.,p174; Anonymous,Syriac Chronicle,The rst and second Crusade,Ed.and tran by A.S. Tri on,in Royal Asia c Socitey,1933,p69-70.

[١١٨]- فقد زار البابا أوربان إيطاليا سنة ١٠٨٩م ووجه له بوهيمند الدعوة بزيارة باري ، وحضر بوهيمند المجمع الذي عقده البابا في مدينة مالفي في تلك السنة وأشرف البابا أوربان مع بوهيمند على نقل رفات القديس نيقولا إلى ضريح لائق بمقامه، وقد كان بوهيمند برفقة البابا أثناء زيارته لكل من تراني وبرنديزي.(إسحاق عبيد : المرجع السابق، ص٩٧).

[119] -Howe,op.cit.,p268.

[120] - Yewdale,op.cit.,p35-36.

[١٢١]- يوشع براور: عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم،دار المعارف١٩٨١م،ص٢٠.

[122] -Chalandon,Alexis,p185.

[123] -Yewdale,op.cit.,p 36;Se on,op.cit.,v,l,p270.

[١٢٤]- المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ترجمة حسن حبشي،القاهرة١٩٥٨م، ص٢٥؛ بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى القدس، ترجمة حسين عطية ،دار المعرفة الجامعية١٩٩٨م/١٤٠٨هـط١، ص٧٦-٧٧.

[125] -Radoulf of Cean,Op.Cit.,p602.

[126] -Ibid,

[127] -Radoulf of Cean,Op.Cit.,p605.

[128] -Radoulf of Cean,p606;Se on,op.cit.,v,l,p270.

[129]Radoulf of Cean,P607.

[130] -Vryonis: Op.Cit.,p139.

[١٣١] - ومن أشهر اولئك القادة جودفري دي بوايون وأخيه بلدوين، وهيو كونت فرماندوا، وريموند دي سانت جيل ، وروبرت كونت نورماندي وروبرت كونت فلاندرز ، وستيفن كونت بلوا وشارتر، وبوهيمند النورماني.

Albert Of Aix,Op Cit.,p309;Anna Comnena,Op.Cit.,p249, Radoulph of Caen,op.cit.,p612,Chalandon,Premier Croisade,p121; Richard,J., The La n Kingdom of Jerusalem,(tran by Janet Shirley,New York1979,Vol,A,p8.

المؤرخ المجهول: المصدر السابق،ص٣٠؛ قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيدلوجية،ص١٨٦؛ أسد رستم: الروم،ج٢،ص١٢٧؛ حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى،ص٧٠.

المؤرخ المجهول: المصدر السابق، ص٢٢-٢٧.

[132] -Anna Comnena,Op. Cit.,p252;Vasilive,Op.Cit.,p406,

ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق،ترجمة إلياس شاهين،موسكو١٩٨٦م،ص٦٧؛جوزيف نسيم: العرب والروم واللاتين،ج١،ص٧٣؛ إسمت غنيم: تاريخ الحروب الصليبية،ص٢٧، عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٥٠.

[١٣٣]- عبد الغني عبد العاطي: السياسة الشرقية،ص٢٨٤.

يرتبط يمين الولاء بنظام الإقطاع الذي كان سائدا في الغرب الأوروبي ويرتبط بالارض التي يتولاها مايسمى بالتابع الذي يتعهد بالقيام بواجباته الإقطاعية لسيده بعد ان يحلف بين يديه يمين الولاء والطاعة ويقدم المساعدة في وقت السلم والحرب ولقد كانت بيزنطة على علم بهذا النوع من النظام عن طريق استخدام الغربيين المرتزقة في جيوشها او عن طريق حروبها مع النورمان(جوزيف نسيم: العرب والروم واللاتين،ج١،حاشيةص٢١٩-٢٢٠؛ السيد الباز العريني: تاريخ اوروبا العصور الوسطى،لبنان١٩٦٨م،ص٤٠١-٤٠٧-٤٠٨).

[١٣٤]-للمزيد من التفاصيل عن موقف كل أمير من الكسيوس حيال ذاك أنظر

Anna Comnen,op.cit.,p252-268;Albert of Aix,op.cit.,p 308-309,Radulph,op.cit.,p612,
Zonaras,op.cit.,p479,Chalandon,Premiere,p147.

[135] - Chalandon,Alexis,p183-184.

[136] -Radoulf of Cean,Op.Cit.,p607.

[137] - Chalandon, Alexis,p184.

[١٣٨] - أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ص٢٣؛ عزيز سوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف،القاهرة١٩٧٢م ص٤٧.

هيو كونت فرماندو : هو اصغر ابناء هنري الاول ملك فرنسا واخوفيلب ملك فرنسا وكان شديد الاعتزاز بأصله وأسرته ومكانتها(حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، ص٦٥). وقد اشترك في الحملة الصليبية الأولى رغبة في المجد والممتلكات الجديدة

والمقصود بحاكم دورازو هو يوحنا كومنين ابن أخ الإمبراطور الكسيوس كومنين ونائبه على دورازو.

[139] Anna Comnen,op. cit.,p253-254.

[140]-Radoulf of Cean,op.cit.,p610.

وليم الصوري: المصدر السابق،ج١،ص٢١٢-٢١٣.

[141] -Chalandon, Alexis,p183-185.

[١٤٢]- المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ص٢٧؛

Se on,op.cit.,v,l,p271.

[143] -Radoulf of Cean,Op.Cit.,p607.

[144] -Ibid,

[145] -Ibid,p608.

[146] - Ibid,

[147] -Ibid,

[148] -Ibid,

[149] -ibid,p609.

[١٥٠]- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ص٢٧.

[151] Radoulf,p610.

[152]-Ibid,p610.

[153] -Anna Comnena,Op.Cit.,p317;Richard, op.cit.,Vol,A,p8.

جودفري دي بوايون: هو ابن ايستاخيوس امير بولون من منطقة اللورين وكان شخصية غنية وفخورة بأصالتها وعراقة نسبها.

Radulf of Cean,Op.cit.,p615.

[154] -Albert Of Aix,Op.Cit.,p309;Michaud,op.cit.,p49-50.

[155] -Albert Of Aix,Op.Cit.,p309;Chalandon,Premiere,p129;Michaud,op.cit.,p50.

قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيدولوجية ،ص١٨٨.

[156] -Radoulf of Cean,op.cit.,p610.

يذكر المؤرخ Albert of Aix أن عدد جيش بوهيمند النورماني بلغ عشرة آلاف من الفرسان إلى جانب أعداد كبيرة من المشاة(op.cit.,p312).

[157] -Anna Comnena,op.cit.,p266.

[158]-Radoulf of cean,p611.

[159] -Ibid,

[160] -Ibid,p 612.

[161] -Anna Comnena,op.cit.,p264.

[١٦٢]- المؤلف المجهول: المصد السابق،ص٣٠ ؛ بطرس توديبود: المصدر السابق، ص٧٨؛

Krey,A.C.,The first Crusade,The Accounts of Eye Witnesses and Participants,London,Oxford,1921,original from Library of Congress,p93.

[163] - Anna Commnen: Op .Cit,p264.

[164] -Chalandon,Alexis,p183.

165 -Krey,op.cit.,p94.
166 -Ibid,
167 - Chalandon,Histoire de Premiere Croisade,p132-133.
168 -Anna Comnena,op.cit.,p264.
169 -Ibid,p265.
170 -Ibid,
171 -Ibid,
172 -Ibid,p266.
173 -Krey,op.cit.,p96.
174 -Ibid,
175 -Anna Comnena,op.cit.,p266.
176 -Ibid,p266-267.
177 Chalandon,Alexis,p16.

178 - Chalandon,Alexis,p188.
179 -Anna Comnena,p267.

١٨٠- ريموندآجيل: المصدر السابق،ص١٨٣.

181 Anna Comnena,op.cit.,p267.
182 -Ibid,
183 -Ibid,
184 -Radoulf of cean,op.cit.,p612.
185 -Ibid,p613.
186 -Ibid,
187 - Radoulf of Cean: Op.Cit,p613.
188 -Radoulf of Cean: Op.Cit,p613;Se on,op.cit.,v,I,p287;Chalandon,Alexis,p188;
المؤرخ المجهول: المصدر السابق،ص٩٠؛وليم الصوري: المصدر السابق،ج١،ص٢١٥.
189 -Radulf of Cean,op.cit.,p613.
190 - Ibid,p613-614.
191 -Ibid,p614.
192 -Ibid,p615.
193 -Ibid,p614.
194 -Ibid,p615.

١٩٥- ميخائيل زابوروف: المرجع السابق،ص٧٣-٧٤؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية،ج١،ص١٢٧؛ عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق،ص٢٩٥.
وقد عقد في تلك المدينة العديد من المجامع الكنسية أهمها مجمعين عقد الأول في سنة ٣٢٥م تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين الأول وعقد الثاني في سنة٧٨٧م في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع(وليم الصوري: المصدر السابق،،ج١،ص٢٢٩).

١٩٦- ريموند آجيل: تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، الموسوعة الشامية، تحقيق سهيل زكار،دمشق،دار الفكر١٤١٣هـ/١٩٩٣م،ص١٨٥.

١٩٧- المؤلف المجهول: المصدر السابق،ص٩٠-٩٣؛ بطرس توديبود: المصدر السابق،ص١١٠-١١١؛ ريموند آجيل: المصدر السابق،ص١٨٥-١٨٦ ، فوشيه أوف شارتر: المصدر السابق،ص٤٥-٤٧.

198-Radoulf,op.cit.,p617.
استمر حصار نيقية سبعة أسابيع وثلاثة أيام وفي أثنائها حاول قلج أرسلان انقاذ مدينته ولكن حين أدرك أن تلك الحملة تختلف عن جوع الدهماء الذين قضى عليهم في الحملة الشعبية كان الوقت قد فات فآثر أن يدخر قواته ليوم آخر(قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيدلوجية ،ص١٩٧) وللمزيد من التفاصيل عن حصار نيقية وموقف بقية القادة الصليبيين منه أنظر المؤرخ المجهول: المصدر السابق،ص٣٣ـــ٤٢.

199 - Anna Comnena,op.cit.,p269-271.
جوزيف نسيم: العرب والروم واللاتين ،ص١٩٨-١٩٩ ،إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص١٠٥.

[٢٠٠]- فولشر أوف شارتر: المصدر السابق،ص٣٥.وللمزيد من التفاصيل عن حصار نيقية وتسليمها للإمبراطوروكيفية تعامل الإمبراطور مع الصليبيين بعد استسلام نيقية له أنظر ريموند آجيل: المصدر السابق،ص١٨٥-١٨٦-١٨٧.

[201] -Radoulf,op.cit.,p618.
[202] -Ibid,
[203] -Anna Commnena: Op.Cit,p275.
[204] -Ibid,
[205] -Ibid,
[206] -Ibid,
[207] -Radoulf,p619.
[208] Anna Comnena,op.cit.,p267.
[209] Radoulf of Cean,op.cit.,p619.
[210] -Anna Comnena,op.cit.,p276;Krey,op.cit.,p105.
[211] -Radoulf,op.cit.,p619.
[212] -Ibid,p620.
[213] -Ibid,p619-620.

[٢١٤]- المؤلف المجهول : المصدر السابق،ص٦٦.
عقد بوهيمند صداقة مع أحد ضباط الحامية الإسلامية في إنطاكية وهو رجل أرمني يدعى فيروز كان قد أعتنق الإسلام بشكل ظاهري واتفق مع بوهيمند على تسليم أنطاكية عن طريق برج الأختين الذي يقع في الجزء الغربي من المدينة إلى جانب الباب المعروف باسم باب القديس جورج والذي يتولى حراسته(وليم الصوري: المصدر السابق،ج١،ص٣١٥).
[215] -Anonmous,op.cit.,p71-72.

قاسم عبده قاسم: المرجع السابق،ص٢٠٥.

[216] -Yewdale,op.cit.,p50.

[٢١٧]- دخلت أنطاكية في حوزة البيزنطيين منذ القرن العاشر الميلادي عندما تم الإستيلاء عليها من أيدي الفاطميين وقد احتفظ البيزنطيون بأنطاكية حتى انتزعها منهم سليمان بن قتلمش سلطان سلاجقة الروم سنة ١٠٨٥م ، ولما مات انتقلت أنطاكية إلى حوزة السلطان ملكشاه السلجوقي فعين عليها أحد قواده ويدعى ياغي سيان(ابن الأثير: الكامل،ج٨،ص١٣٦؛ ابن العديم: زبدة الحلب،ج١،ص١٥١؛
Anonymous,op.cit.,p69).

[٢١٨]- هسي: العالم البيزنطي،ص١٨٠.

[219] -Zonaras,Op.Cit.,p749.

[٢٢٠]- هسي: العالم البيزنطي،ص١٨١.
[٢٢١]- إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص١٣٦.

[222] -Anna Comenena,Op.Cit.,p291.
[223]- Ibid,

[٢٢٤]- إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص١٣٧.
سارعت الجيوش البيزنطية فاحتلت طرسوس وأذنة والمصيصة وفي نفس الوقت تقدمت الجيوش التركية حتى أصبحت على مشارف أنطاكية وكان ذلك تهديدا مباشراً لها وللمزيد من التفاصيل عن ذلك الهجوم أنظر
Anna Comnena,Op.Cit.,p292-293.

[225] -Yewdale,op.cit.,p102.

[٢٢٦]-إسحاق عبيد: المرجع السابق،ص١٣٧.

[227] -Anna Comnena,op.cit.,٢٩٩
[228] - Ibid,
[229]-Ibid,P300.
[230] - Yewdale,op.cit.,p108.

[٢٣١]- محمد مرسي الشيخ: المرجع السابق،ص٣٤٠.

٢٣٢- أطلق على تلك المعاهدة اسم ديفول نسبة إلى المدينة التي وقعت فيها ومدين ديفول تقع شمال مدينة أدريانوبل على شاطيء البحر الأسود

C.M.H.V,IV,1966,map6,p289

٢٣٣- ابن القلانسي: الذيل،ص١٦٤.

234 -Yewdale,op.cit.,p130.

235 -Se on,op.cit.,p391.

تزوج بوهيمند في إيطاليا من كونستانس أميرة شامبانيا وتم الزواج في سنة ١١٠٦م(Yewdale,op.cit.,p108-109)

٢٣٦- عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص١٧٥.

٢٣٧- رانسيمان: المرجع السابق،،ج٢،ص٤٩١؛ عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص١٧٨.

٢٣٨- عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص١٧٨.

٢٣٩- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،بيروت،مطبعة الآباء اليسوعيين١٩٠٨م،ص١٦٧.

٢٤٠- محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ص٣٤٠.

٢٤١- ستيفن رانسيمان: المرجع السابق ،ج٢،ص٢٠٣.

٢٤٢- ابن القلانسي:الذيل،ص١٨٣.

ويقصد ببركسيل كوغ باسيل الأرمني والذي لم ينس تانكريد دعمه لبلدوين دي بورغ امير الرها لذا اجتمع الجيشين في مواجهة فعلية ثم تم عقد صلح بينهما وللمزيد من التفاصيل انظر عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق،ص٢٦٥.

٢٤٣- ابن القلانسي: المصدر السابق،ص١٨٣؛زاكية رشدي: الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، كلية الآداب جامعة القاهرة،١٩٧٢م/١٣٩٢.

244 -Radoulf of Caen:op.cit,p670.

245 -Se on,op.cit.,v,l,p401.

٢٤٦- سعيد عاشور:الحركة الصليبية،ج١،ص٣٣٠.

247 -Se on,op.cit.,v,l,p401.

٢٤٨- إسحاق عبيد:المرجع السابق،ص١٥٠.

٢٤٩- عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٢٠٢.

رانسيمان:المرجع السابق،ج٢،ص٢٢٣-٢٢٥؛عبد الغني عبد العاطي:المرجع السابق،ص٢١٨-٢٢٤؛عامرة عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٢٠٢.

٢٥٠- ستيفن رانسيمان:المرجع السابق،ج٢،ص٢٢٣-٢٢٥؛عبد الغني عبد العاطي:المرجع السابق،ص٢١٨-٢٢٤.

٢٥١- ابن القلانسي: المصدر السابق،ص١٩٩،ابن الأثير: الكامل،ج٩،ص١٧١؛ابن العبري: تاريخ الزمان،ص١٣٦؛ Howe,op.cit.,p268.

٢٥٢- اسحاق عبيد: المرجع السابق،ص١٥٦-١٥٧.

المصادر والمراجع العربية والمعربه

ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني،المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين،ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

– الكامل في التاريخ، بيروت،دار الفكر١٣٩٨م/١٩٧٨هـ ،ج٨.

ابن العبري:(جريجوريوس الملطي،ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).
- تاريخ الزمان،، ترجمة الأب إسحاق ارملة، بيروت١٩٨٦.
- تاريخ مختصر الدول،ط١.

ابن العديم:(كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة،ت٦٦٠هـ/١٢٦١م).
- زبدة الحلب من تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار،دمشق- القاهرة،دار الكتاب العربي١٤١٨هـ/١٩٩٧م،ج١.

ابن القلانسي:(أبي يعلي حمزة بن القلانسي،ت٥٥٥هـ/١١٥٩م).
- ذيل تاريخ دمشق، بيروت،مطبعة الأباء اليسوعيين.١٩٠٨.

ابن تغري بردي:(جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي،ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة١٩٧٢م، ج٥.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي،ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر،بيروت- لبنان، مؤسسة جمال للطباعة والنشر،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،ج٥.

إسحاق عبيد:
- روما وبيزنطة ،القاهرة،دار المعارف،١٩٧٠م.

إسمت غنيم:
- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية١٩٨٧م/١٤٠٨هـ.
- تاريخ الحروب الصليبية،الإسكندرية١٩٩٦م/١٤١٧هـ .
- معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسيللوس،مطبعة جامعة الإسكندرية١٩٨١م/١٤٠٢هـ.

أومان:
- الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه ، القاهرة ١٩٥٣م.

بطرس توديبود:
– تاريخ الرحلة إلى القدس، ترجمة حسين عطية ،دار المعرفة الجامعية١٩٩٨م/١٤٠٨هـ،ط١.

ج نورمان كانتور:
– التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم،دار المعارف ١٩٨٦م،ط٢،ق٢ .

ج.م.هسي:
– العالم البيزنطي،ترجمة رأفت عبد الحميد،مؤسسة عين للدراست والبحوث الإنسانية والإجتماعية١٩٩٧م/١٤١٨هـ .

جوزيف نسيم:
– العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى،القاهرة،دار المعارف،١٩٦٣م،ج١.

حسن حبشي:
– الحرب الصليبية الأولى،دار الفكر العربي١٩٥٨م/١٣٧٨هـ .

حسنين ربيع:
– دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،القاهرة١٩٨٣م/١٤٠٣هـ .

رانسيمان:
– تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة السيد الباز العريني،بيروت–لبنان،دار الثقافة١٩٩٧م/١٤١٧هـ .

زاكية رشدي:
– الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، كلية الآداب جامعة القاهرة،١٩٧٢م/١٣٩٢.

سعيد عاشور:
– الحركة الصليبية، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية١٩٩٦م/١٤١٧هـ،ط٦؛

- أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي،القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٩، ١٩٣٣م ،ج١ .

السيد الباز العريني:

- الدولة البيزنطية،بيروت١٩٨٢م/١٤٠٣هـ

- تاريخ اوروبا العصور الوسطى،بيروت- لبنان، دار النهضة العربية ١٩٦٨م.

عادل زيتون:

- تاريخ العصور الوسطى الأوروبية،دمشق،دار الكتاب ١٩٩٠-١٩٩١.

عامرة عبد اللطيف:

- الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون،مطبعة جامعة القاهرة،١٩٨٠م.

عبد الغني عبد العاطي:

- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين،دار المعارف١٩٨٣م/١٤٠٤هـ .

عبد القادر اليوسف:

- الإمبراطورية البيزنطية، لمكتبة العصرية،صيدا- بيروت١٩٨٤م/١٤٠٥هـ. .

عزيز سوريال عطية:

- العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف،القاهرة١٩٧٢م .

ف. هايد:

- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،ترجمة أحمد رضا، القاهرة١٩٨٥،ج١.

كارين أرمسترونغ:

- الحرب المقدسة، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ترجمة: سامي كعكي،لبنان٢٠٠٤م.

محمد مرسي الشيخ:

– تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية١٩٩٤م/١٤١٥هـ .

محمود سعيد عمران:
– معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،بيروت١٩٨١م/١٤٠٢هـ
– معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٢

المؤلف المجهول:
– اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ترجمة حسن حبشي،القاهرة،١٩٥٨م.

ميخائيل السوري:
– تاريخ ميخائيل السوري، الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار،دمشق،دار الفكر١٩٩٥م/١٤١٦هـ،ج٥.

ميخائيل زابوروف:
– الصليبيون في الشرق،ترجمة إلياس شاهين،موسكو١٩٨٦م .

النويري:
– نهاية الأرب في فنون الأدب،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ج٢٦،ص٣٠٣.

وليم الصوري:
– الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تحقيق سهيل زكار،دمشق،دار الفكر١٤١٠هـ/١٩٩٠م،ط١،ج١ .

يوشع براور:
– عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم،دار المعارف١٩٨١م.

Comnena, A., & Sewter, E. R. A. (1969). *The Alexiad of Anna Comnena.* Baltimore: Penguin Books.

C.M.H, V, IV

Cavendish, The Battle Of Civitate, History to day, Jun 2003, Vol.53 Issue 6, p53,1/3p.

Chalandon, La Campagne de Manzikert (Byzantion 1934), p 639-640.

Chalandon, Regne d,Alexis Comnene, Paris1900, p49-50.

Diehl, Histoire de L'Empoire Byzintin, 1969, p.140.

Haskins, C., The Normans in European History, 1951, p200; Sap, op.cit., p173.

Howe, J., Amatus of Montecassino: the history of the Normans, in Oxford Journals, Humanities, English Historical Review, v cxxi, p268.

Hussey, The Later Macedonian, The Comneni and Angli (C.M.H.) V, IV, p202; Loud, op.cit, p817.

Hamilton, L, L, Memory, Symbol, and Arson Was Rome"Sached"hn1084, Speculum2003, v, 78.

Krey, A.C., The first Crusade, The Accounts of Eye Witnesses and Participants, London, Oxford, 1921, original from Library of Congress, p93.

Loud, G.A., Coinage, Wealth and Plunder in the age of Robert Guiscard, in English Historical Review, Oxford University, Press 1999,P817.

Radoulf of cean, op.cit, Gesta Tancred in Expedition Herosoly mitanae in (R.H.c.)Occ, 4, 1866, p605.

Richard, J, The Latin Kingdom of Jerusalem, (tran by Janet Shirley), New York 1979,Vol, A, p8.

Sap, John, W, The Castle, The Church and The Borough, Oxford, Black Wel, 2006, 191,ISBN,p173.

المصادر والمراجع الأجنبية

Albert of Aix, Liber Christanae Exbeditions Pro Ereptione Emum Datione Et Restiutione, Sanctae Hierosoly mitanae Ecclesiae In (R.H.C.) H.Occ, 4 Paris1879, p289.

Setton, K.M., A history The Crusades The University of Wisconsin press Madison , Milwaukee, and London, 1969, v,I,p187.

Skinner, P, The Age of Robert Guiscard: Southern Italy and the Norman Conquest, in English Historical review, 2001, V, 116, p671.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire,(1980) v, 1, p356.

Vryonis, S, Byzantium and Europ, London1967.

Yewdale,R.B.,Bohemond I,Prince Of An och (Princeton)p24.